

تِرْيَاق

نَحْوَ مُعَالَجَةٍ تَأْصِيلِيَّةٍ لِلشُّبُهَاتِ الْفِكْرِيَّةِ

د. مُطْلَق جَاسِر مُطْلَق الجَاسِر

الطبعة الثانية



ترياق

نحو معالجة تأصيلية
للشبهات الفكرية

الطبعة الثانية

شهر رمضان ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

ISBN: 978-9921-741-21-6



mutlaq09@gmail.com





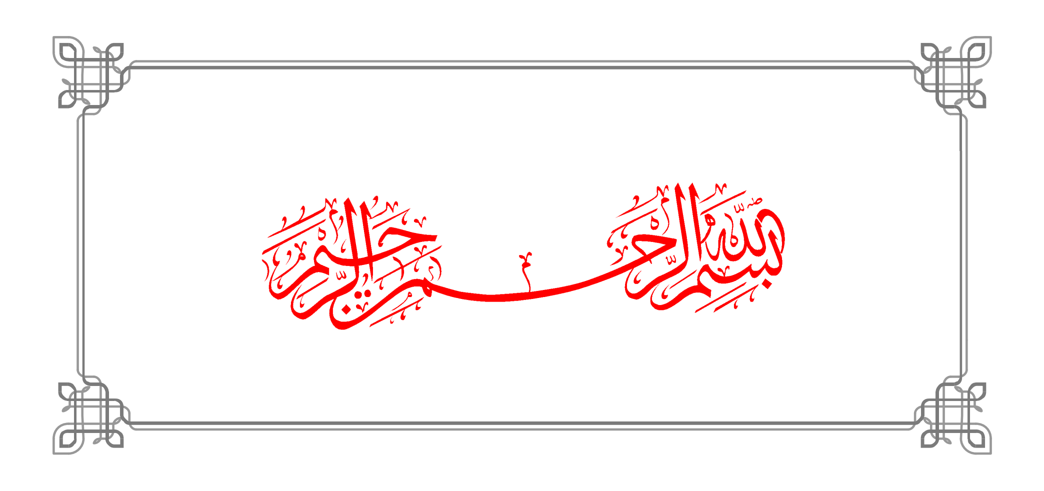


نحو مُعَالَجة تأصيلية للشُّبهات الفِكْريّة

تأليف

د. مطلق بن جاسر بن مطلق الجاسر

كلية الشريعة - جامعة الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

۞ إلى منبع النقاء، ومُتعة اللقاء، وجوهرة الصفاء، سيّدتي الوالدة

سارة جلوي ضاوي العتيبي

حفظها الله مِن بين يديها ومِن خَلفها وأطال في عُمرها على طاعته..

۞ وإلى الرجل الصالح، ذي الرأي السَّديد، والخُلُق الحَميد، والنَّظرِ البعيد، سيّدي الوالد السعيد

جاسر مطلق فارس الجاسر

حفظه الله مِن بين يديه ومِن خَلفه وأطال في عُمره على طاعته..

أهْدي لهما هذا الكتاب، وكأنني أُهدي مال إنسان إليه!

كيف لا وهو ثمرةٌ من ثمراتهما؟!

فقد غرسا في قلبي **حُبَّ العلم وعِلمَ الحُبّ..**

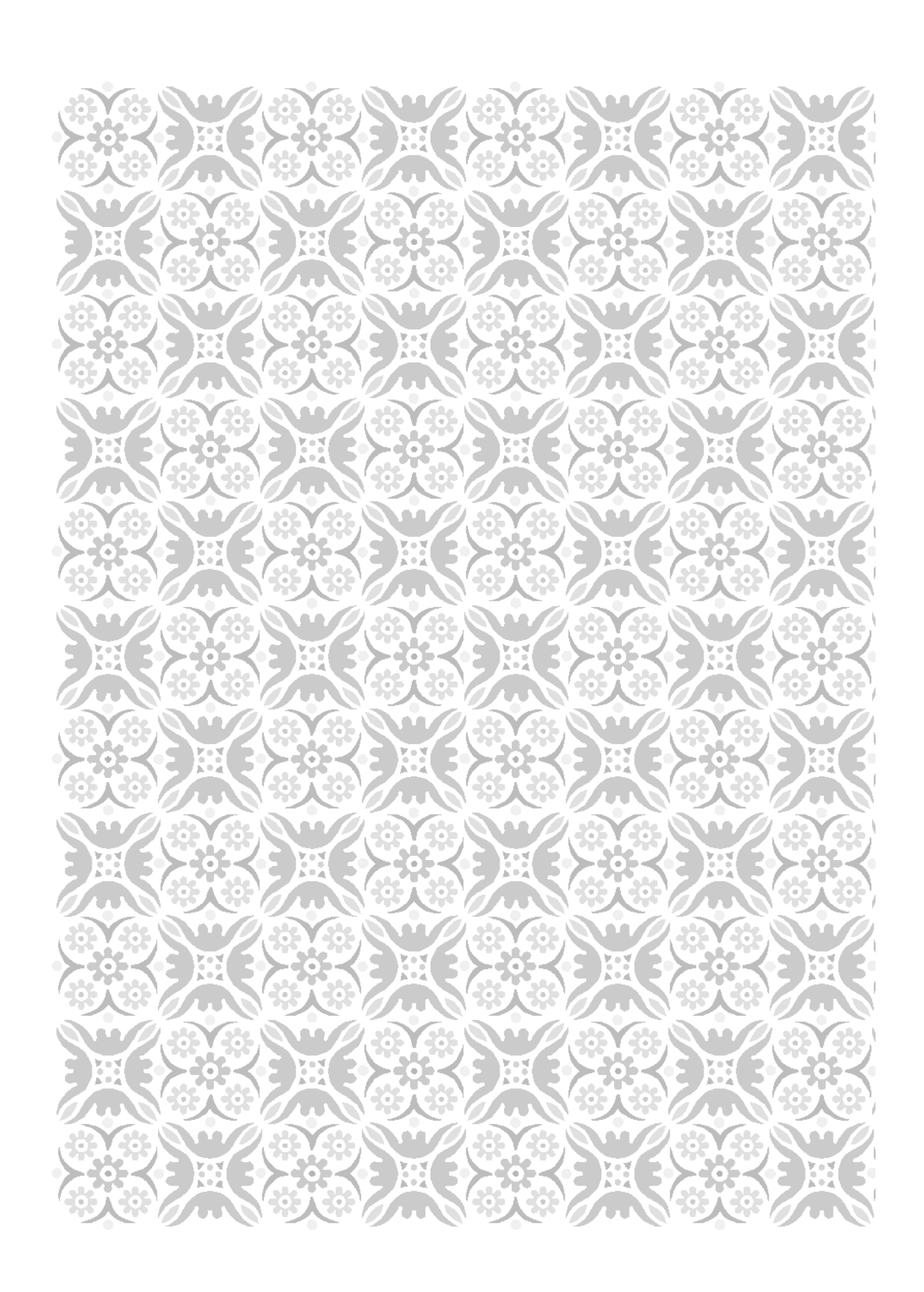
مَتّعني الله ببقائهما، وأنالني شَرَفَ خِدمتهما،

وأعانني على برّهما، ووفّقني لنيل رضاهما

ويا رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا..

والله يجزي أبي عَنّي ووالدتي ... ومن يُعلّمُنِي بالخُلْدِ آمينا

آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ ... حتى أُبلّغها مليار آمينا





مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب ترياق، بعد أن تلقّفتْ طبعتَه الأولى أيدي الرضى والقبول بحمد الله تعالى وتوفيقه.

وحيث إن النقص من طبع البشر، فقد دأبتُ منذ فراغي من الكتاب أن أراجعه بين الفينة والأخرى، فأجريتُ عليه قلم التصويب والتنقيح، طَلَبًا للتحسين ودرءًا للتقبيح، مستفيدًا من كل قارئ نصيح، كما أضفتُ إليه بعض الفوائد والنقول اليسيرة.

وإنّي إذ أُقدّمُ هذه الطبعة الجديدة، لا يفوتني أن أتوجّه بالشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل لكل من أرسل إلي ملاحظة أو تصويبًا أو فائدة.

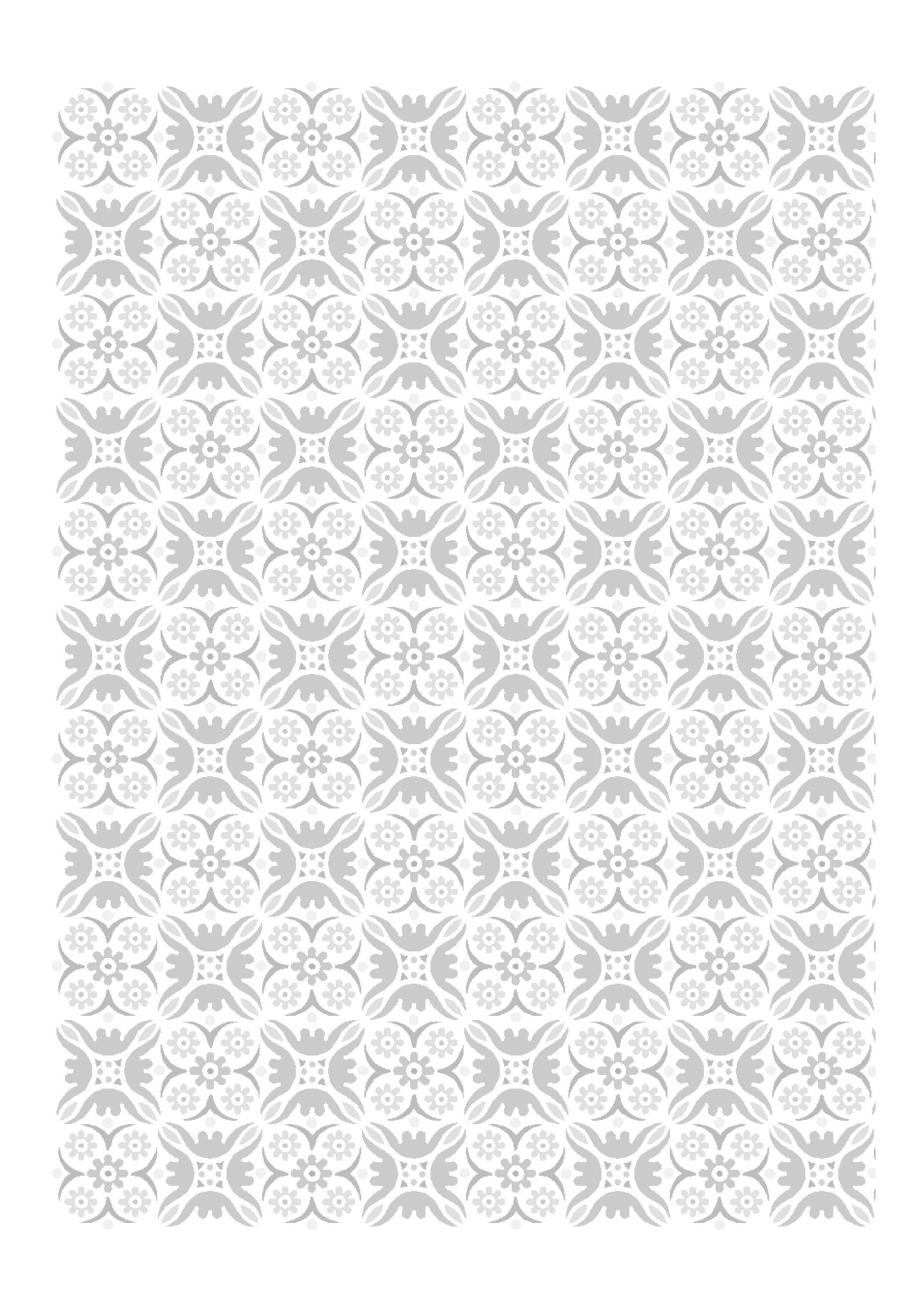
والحمد لله رب العالمين

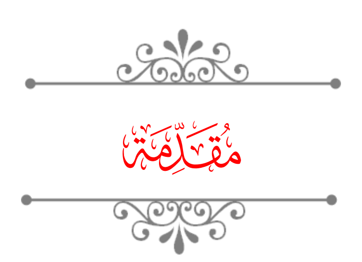
وكتبه فقير عفو ربه

مطلق الجاسر

الكويت ـ ليلة الجمعة ١٣ شعبان ١٤٤٢ هـ

الموافق ٢٦/٣/٢٠٢١م





مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد،،

ففي يوم من أيام عام ١٤٣٢هـ الموافق لعام ٢٠١٢م قدّر الله ﷻ لي أول مواجهةٍ مباشرة مع الشبهات، وذلك من خلال جلسة حوارية امتدت لساعات مع شاب لاديني، وقد أصابني الذهول حينها عندما سمعته ـ وهو من بني جلدتنا ـ يقول: دينكم فيه كذا! ونبيكم يقول كذا! هكذا بضمير المخاطَب! فشعرتُ حينها بخطورة الأمر، وفداحة الخطب، وقد ألقى عليّ هذا الشاب حينها رُكامًا من الشبهات، شرّق فيها وغرّب، أعانني الله ﷻ على الجواب عن بعضها، وعجزتُ عن الجواب عن بقيتها، فقد كانت تطرق سمعي لأول مرة حينها، فطلبتُ منه جلسة ثانية لأبحث عن الإجابات.

ومنذ فارقني لم يفارقني الهم، ولم يكن لي شغل إلا البحث والتنقيب، فاستعنتُ بالله تعالى في القراءة والبحث ومحاولة إيجاد الإجابات الشافية على هذه الشبهات، وقد واجهتُ حينها بعض الصعوبات، منها أن المكتبة

الإسلامية العربية في تلك الفترة كانت تعاني نقصًا حادًّا في المؤلفات الفكرية والردود المفصّلة على الشبهات اللادينية ونحوها، لكن الله سبحانه أعان ويسّر، وجلسنا الجلسة الثانية، وأجبته، وانتهت الجلسة بنطقه الشهادتين بحمد الله تعالى وتيسيره وتوفيقه.

ومن هذا الموقف قرّرتُ دخول هذا الميدان، وحاولت خوض هذا المعترك، ومما زاد في عزيمتي شُحّ المتخصصين فيه، فيسّر الله لي أن جلست جلسات حوارية مطوّلة، وخُضت نقاشات ماراثونية امتدت لساعات طويلة، مع عشرات الشباب الذين اجتاحتهم جائحةُ الشبهات، وحَمَلَتْهم أعاصير الأفكار الوافدة فَرَمَتْ بِهم في أودية سحيقة، بعضهم كان في عمقها، وبعضهم كان في طرفها.

وقد ألزمتُ نفسي قبل كل جلسة من هذه الجلسات أن أُحضّر لها، من الكتب تارة، ومن بعض المواقع الالكترونية وغيرها تارة أخرى، وكنت أدوّن بعض ما أحضّره، ثم صارت دور النشر تنشر تباعًا عددًا من الكتب المتعلقة بهذه المسائل، فكنت أتلقّفها، وأستفيد منها، وألخّصها، وأدوّن عليها الملاحظات، وأضم النظير إلى النظير.

وقد لاحظتُ في هذه التجربة المتواضعة سمةً مشتركة بين هؤلاء المتأثرين بالشبهات، وهي أن كثيراً من شبهاتهم لم تكن مبنيةً على أُسس علمية صحيحة، ولم تكن نتيجةَ دراسةٍ علميةٍ جادّة يستطيع الإنسان من خلالها أن يبني تصورًا كافيًا لأهم قضية في حياته، بل هي القضية المصيرية الكبرى، وهي قضية الدين، فلم يكلّفوا أنفسهم عناءَ البحث عن إجابات

شافية من خلال قراءة الكتب الشرعية المعتمدة أو سؤال أهل الاختصاص، بل كان مصدرهم في الغالب كتب أعداء الإسلام والمستشرقين، أو الوسائل الإعلامية المضللة، **مع جهل كبير بالشريعة**.

ووجدت كذلك أن **العامل النفسي** يُعد من أهم الأسباب التي أدّت بهم إلى هذه الانحرافات الفكرية، فهناك مجموعة من الأسباب النفسية والاجتماعية التي تؤدي بالإنسان إلى الانحراف الفكري، وسيأتي مزيد كلام عن هذه المسألة.

كما أن **التضليل الإعلامي** كان عاملًا مهمًا أيضًا أدى إلى انتشار هذه الشبهات، فقد أضحت الشبهات في هذا العصر تُطرح بأشكالٍ مختلفة، فتارةً تُطرح على شكل مقطعٍ مصوّر قد عُجِن بعجينة الأكاذيب وأُضيفت إليه بهارات التزييف!، وتارةً عبر فيلم سينمائي يعبث بعقول الناس بسحر التقنية والصناعة السينمائية المبهرة، وأحيانًا عبر مقابلة تلفزيونية، وأحيانًا عبر خبر كاذب أو مبالَغٍ فيه تشوَّهُ من خلاله صورةُ الإسلام، وكل هذا في إطار هجمةٍ شرسة على الإسلام عقيدةً ومنهجًا[1].

وأصبحنا نرى ضحايا هذه الهجمات يتساقطون يمنةً ويسرةً ـ مع الأسف الشديد ـ، وأغلبهم من الشباب الذين لم يتحصّنوا بالعلم الشرعي، فنسأل الله أن يثبّتنا على الحق حتى نلقاه.

إن نقد الدين وإثارة الشبهات حوله شأن قديم ليس بجديد، فلا يخلو زمان من عدو مُبْغِض يسعى لهدم الإسلام وتشكيك المسلمين في عقيدتهم

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب «الميديا والإلحاد» للمهندس أحمد حسن.

وشريعتهم، ولكن تأثيرهم في القرون السالفة كان محدودًا، وذلك نتيجةً لمحدودية وسائل التشكيك، وندرة القنوات الإعلامية، فلم يكن يقع في دائرة التأثير التشكيكي إلا فئة قليلة من الناس، وهم قُرّاء الكتب، ومن يجالس الزنادقة هنا وهناك، أما عامة الناس فكانوا بمنأى عن هذا التأثير، مطمئنين بعقيدتهم، سعداء بيقينهم، يعبدون ربهم، وينشغلون بتحصيل أرزاقهم، شاكرين الله ﷻ على نعمه وآلائه.

ثم لم يزل الزمن يتقدّم، والعلم التجريبي يتطوّر، والإعلام ينفتح، حتى كثُرت وَسَائِل الإعلام، وظَهَرت وسائل التواصل الاجتماعي، وانفجر على الناس سيلٌ هَادِر من المعلومات والأفكار، بشكل غير مسبوق في التاريخ.

وهذا الانفجار المعلوماتي قد يكون حَسَنًا من حيث سهولة الحصول على العلم وتيسر الاطلاع على ثقافات الآخرين مما يوسّع الأفق ويزيد في الفهم، ولكنه في الوقت ذاته خطيرٌ من حيث سهولة بث السموم والشبهات والأفكار الخبيثة في عقول الناس، مما يستدعي وقفةً جادة.

ولا يجوز لنا والحالةُ هذه أن نقف مكتوفي الأيدي نتفرج على هؤلاء الشباب دون موقف جاد، وعلينا كذلك ألا تكون مواقفنا وجهودنا ردودَ أفعال، بل علينا أن نصنع الوقاية من الغواية، وذلك من خلال توضيح الحقائق وإزالة العوائق التي تعيق الفهم الصحيح.

وقد رأيت أن المعالجة الجزئية لفروع الشبهات قد تكون فائدتها محدودة، وذلك لأن الشبهات كثيرة متجددة، تصعب الإحاطة بها، لذلك حرصتُ في

هذا الكتاب أن تكون المعالجة تأصيلية ، تهتم بعلاج أصول الشبهات ، أكثر من فروعها ، فإن من الحكمة أن نقتلع جذور الشجرة الفاسدة بدل الانشغال بقص فروعها الخبيثة ، لأن الفرع إذا قصصته خرج فرعٌ جديد ، أما إذا اقتلعت الشجرة من أصلها سقطت الفروع كلها معها ولو كان لها ألف فرع.

وهذا ما حاولت فعله في هذا الكتاب الذي بين يديك ، فاستعنت بالله تعالى ورجعتُ إلى بعض الأفكار التي دونتها ، والمقاطع التي صورتها[(١)] ، وحاولت ضم النظير إلى النظير ، واجتهدتُ في الترتيب والتحرير ، فبدأتُ بنقطة البداية وهي تصحيح مصادر المعرفة ، وذلك بعد تقرير بعض المقدمات المهمة عن الشبهات ، ثم سلّطتُ الضوء على المناهج المؤسِّسة للشبهات ، فذكرت أهمها ، ونقدتها ، ثم تناولت الأسس التي بُنيت عليها الشبهات ، والتي لا تكاد شبهةٌ تخرج عنها ، ثم رسمت خريطة عملية لنقض الشبهات ، تتضمن خطوات واضحة ، ثم ختمت الكتاب بنماذج مختارة من الشبهات وحاولت تطبيق الخطوات العملية في نقضها.

وقد سمّيت هذا الكتاب بـ

(تِرْياق: نحو مُعَالَجة تأصيلية للشُّبُهات الفِكْريّة).

ومناسبة التسمية أن الشبهات نوعٌ من السموم، والترياق هو دواء

(١) وأحب هنا أن أوجه الشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل للأخ الفاضل صالح بن عبدالعزيز الخرجي ـ وفقه الله وسدّده ـ على جهده الكبير في تفريغ كثير من مقاطعي المصورة بشكلٍ منظم جميل ، فجزاه الله خيرًا.

السموم، فكل مَا يسْتَعْمل لدفع السم فهو ترياق[١]، كما أنه يُستعمل للوقاية منها كذلك، فقد قال الحافظ السيوطي ﵀: «الترياق: كل ما يَحفظ صِحة الروح وقوته ليتمكن من دفع السموم»[٢]، فأرجو أن يكون هذا الكتاب وقاية من الشبهات وعلاجًا لها.

وقد قسّمت هذا الكتاب إلى ستة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد، وتتبعها خاتمة، وهي:

الفصل الأول: **مُقدّمات عن الشبهات.**

الفصل الثاني: **نُقطة البداية: تَصحيح مَصادر المعرفة.**

الفصل الثالث: **المَناهج المؤسِّسة للشُبهات.**

الفصل الرابع: **الأُسس التي بُنيت عليها الشُبهات.**

الفصل الخامس: **الخُطُوات العَملية لنقض الشُبهات.**

الفصل السادس: **شُبهات وردود.**

ثم وضعت في آخر الكتاب بعض الفهارس الفنية الخادمة للكتاب والمعينة على الاستفادة المثلى منه، كفهرس الحوارات مع المتأثرين بالشبهات، وفهرس الشبهات والردود، وفهرس الخرائط الجدلية.

كما أنني أود التنبيه على أنني لم أترجم لجميع الأعلام والشخصيات الواردة في الكتاب، وإنما اكتفيت بترجمة الأعلام الذين لترجمتهم صلة مباشرة بموضوع الكتاب، وتركت ترجمة المشهورين منهم، أو الذين ليس

(١) انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (١/١٠٦).
(٢) مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي (ص ١٨١).

لترجمتهم صلة مباشرة بموضوع الكتاب.

فأسأل الله أن يكون هذا الكتاب ترياقًا واقيًا شافيًا، يقي المؤمن من سموم الشبهات، ويشفي المبتلى بها.

وقبل أن أختم هذه المقدمة فإنني أتوجه بالشكر الجزيل والثناء العاطر الجميل ـ بعد شُكر الله العظيم الجليل ـ لكُلّ مَن سَاهَمَ في إتمام هذا الكتاب.

وأخص بالذكر زوجتي الفاضلة أم عبدالله، وأولادي ـ حفظهم الله ورعاهم وأصلحهم وبارك فيهم ـ فقد كان لهم دور كبير في تهيئة الجو المناسب حتى أنجزت هذا الكتاب.

كما أُثنّي بالشكر، وأخص بالذكر الأخوة الأفاضل والأصحاب الأماثل أعضاء نادي بينات للقراءة، وهم الأحبة: عثمان شاهين الفودري، وخالد محمد الصالح، وراشد عدنان الشطي، وراشد نايف العدواني، وعمر وليد الهولي، وعبدالله مبارك السعيدي، ومحمد أحمد العبدالله، وتركي عبدالمحسن المطيري، وإبراهيم سعود الربيعة، وجاسم خالد النمش، وعبدالعزيز خليل الفيلكاوي، ويوسف خالد العوضي، ويوسف إبراهيم القرشي، جزاهم الله خيرًا وبارك فيهم.

فقد دفعتُ لهم نسخة من الكتاب قبل طباعته فقرؤوه مشكورين، ثم تدارسناه سويًا وتباحثنا حوله، فاستفدتُ من ملحوظاتهم السديدة ومقترحاتهم المفيدة.

كما أشكر أخي محمد الجاسر على ملحوظاته، وأشكر الأخ الكريم

أحمد السعد المنيفي، حيث أفادني بعددٍ من التصويبات والملحوظات التي استفدتُ منها في تصحيح تجارب الكتاب، فجزاه الله خيرًا.

ولعلي في الختام أستعير من الإمام الهُمام، ابن قيم الجوزية ﵀ خاتمتَه لمقدمة كتابه «طريق الهجرتين»، والتي قال فيها عن كتابه: «ما كان فيه من حق وصواب فمن الله، هو الله المانّ به، فإن التوفيق بيده، وما كان فيه من زلل فمنّي ومن الشيطان، واللهُ ورسولُه منه براء.

فيا أيها القارئ له والناظر فيه، هذه بضاعةُ صاحبِها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمُه وعقلُه معروضٌ عليك، لك غُنمه وعلى مؤلفه غُرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عَدِمَ منك حمدًا وشكرًا فلا يعدم منك عذرًا، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد:

استأثر اللهُ بالثناءِ وبالـ ـحمْدِ وولّى الملامةَ الرجُلا

والله المسؤول أن يجعله لوجهه خالصًا، وينفع به مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل»[(١)].

وكتبه فقير عفو ربه

أبو عبدالله مطلق بن جاسر بن مطلق الجاسر

الكويت ـ صبيحة يوم عرفة المبارك عام ١٤٤١ هـ

الموافق ٣٠/٧/٢٠٢٠ م

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم (ص ١٠ ـ ١١).

تمهيد

أسئلة عن الأسئلة..؟!



الكشف عن المخفي والسؤال عن المجهول قد بدأ مع الإنسان منذ خَلَقَه اللهُ تعالى، وظل ملازمًا له، وسيظل معه إلى الأبد، لذلك وقبل الشروع في مقصود الكتاب أحببتُ أن أطرح بعض الأسئلة عن الأسئلة..!

۞ هل السؤال ممنوع في الشريعة الإسلامية؟

الجواب: أبدًا..! السؤال ليس ممنوعًا في الشريعة الإسلامية.

كيف يكون ممنوعًا؟! وقد أمرنا الله سبحانه تعالى في محكم تنزيله أن نسأل أهل الذكر إن كنّا لا نعلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤]، ونبينا ﷺ يقول: «**شِفَاءُ العِيّ السُّؤال**»[1]، والعي هو الجهل.

قال الحافظ ابن عبد البر: «يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئًا من

(١) رواه أبو داود (٣٣٧) وابن ماجه (٥٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

دينه أن يسأل عنه، قال رسول الله ﷺ: «شفاء العي السؤال»»[1].

فلا حرج من السؤال في الإسلام، بل هو مطلوب ومرغوب إذا سُلك طريقُه الصحيح، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الله ﷻ قد ذكر في كتابه الكريم كثيرًا من الإجابات عن أسئلة الناس للنبي ﷺ، منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

ولكن إذا ثار أمام المسلم سؤال في دينه أو استشكال في شريعة ربه تعالى فعليه **أولًا**: أن يُحسن الظن بربه تعالى وبدينه، لأنه قد عاين خَلْق ربه تعالى وحكمته، ورأى عظمة خلقه، واستوعب كثيرًا من محاسن الشريعة، فمن عدم الكياسة أن ينسف الإنسانُ كل تلك العظمة وأن يجعل ظنه بربه هشًّا يتزعزع أمام أدنى شك أو إشكال أو شبهة هشة أو سؤال يسير! بل عليه أن يرد المتشابه إلى المحكم ويعلم أن ربه حق ودينه حق.

ثم عليه **ثانيًا** أن يبحث عن حلّ إشكاله وجواب سؤاله، مستعينًا بالله تعالى ثم بأهل العلم المتخصصين، ويحسُن به كذلك القراءة والبحث في كتب الإسلام الموثوقة بالطريقة المنهجية الصحيحة، فإن وصل إلى الجواب

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٣٣٨/٨).

الصحيح المقنع فالحمد لله، وإن لم يصل فليستمر في البحث والسؤال حتى يزول الإشكال مستحضرًا يقينَه بربه وثقتَه بدينه، وليعلم أن فوق كل ذي علم عليم.

۞ هل الإسلام يدعو إلى إغلاق العقل ومنع التفكير؟

الجواب: **أبدًا..! لا يدعو الإسلام إلى إغلاق العقل ولا منع التفكير؟**

كيف ذلك وديننا يحثنا على التفكر والتدبر والتأمل؟! والقارئ لكتاب الله تعالى يجد عددًا ليس بالقليل من الآيات التي تحثُّ الإنسان على التفكير العميق والفهم الدقيق الذي يبصر به الإنسان كلَّ ما يحيط به من مخلوقات؛ ويجد به الإجابات الشافيات، حتى يصل في النهاية إلى معرفة الله تعالى ووحدانيَّته، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ **ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟**﴾، فالله ﷻ يأمرنا أن نتفكر ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟** مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ **أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٥٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم** مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ **لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١]، إلى آخر تلك الآيات العظيمة الصريحة الواضحة، فهناك **أكثر من ثماني عشر آية صريحة في القرآن تدعو إلى التفكر.**

أما الآيات التي تدعو إلى التفكير بشكل غير مباشر فكثيرة يصعب حصرها.

«وقد ذكر الله تعالى العقل في القرآن في معرِض المدح لأهله في مواضع يطول عدّها، وهو جدير بالمدح الكامل إذ به عرف الحق سبحانه، ومعرفته تعالى أكمل الفضائل، وبه أيضا مناط التكليف وزجر النفس عن الهوى الموقع لها في شقاوة الأبد وحلول دار الجحيم والجذب لها إلى الخوف المفضي بها إلى سعادة الأبد والفلاح المخلد لها في دار النعيم»[(١)].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ** مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الروم: ٨]، وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

فالسؤال مشروع، والتفكير غير محجور عليه، والعقل ليس معطلًا.

ولكن.. يجب أن يكون السؤال صحيحًا والتفكير منطقيًا، والعقل سليمًا، بعيدًا عن المغالطات المنطقية والتشغيبات الفكرية، وأرجو أن يكون هذا الكتاب خير معين لتحقيق هذه الغاية بعون الله وتوفيقه.

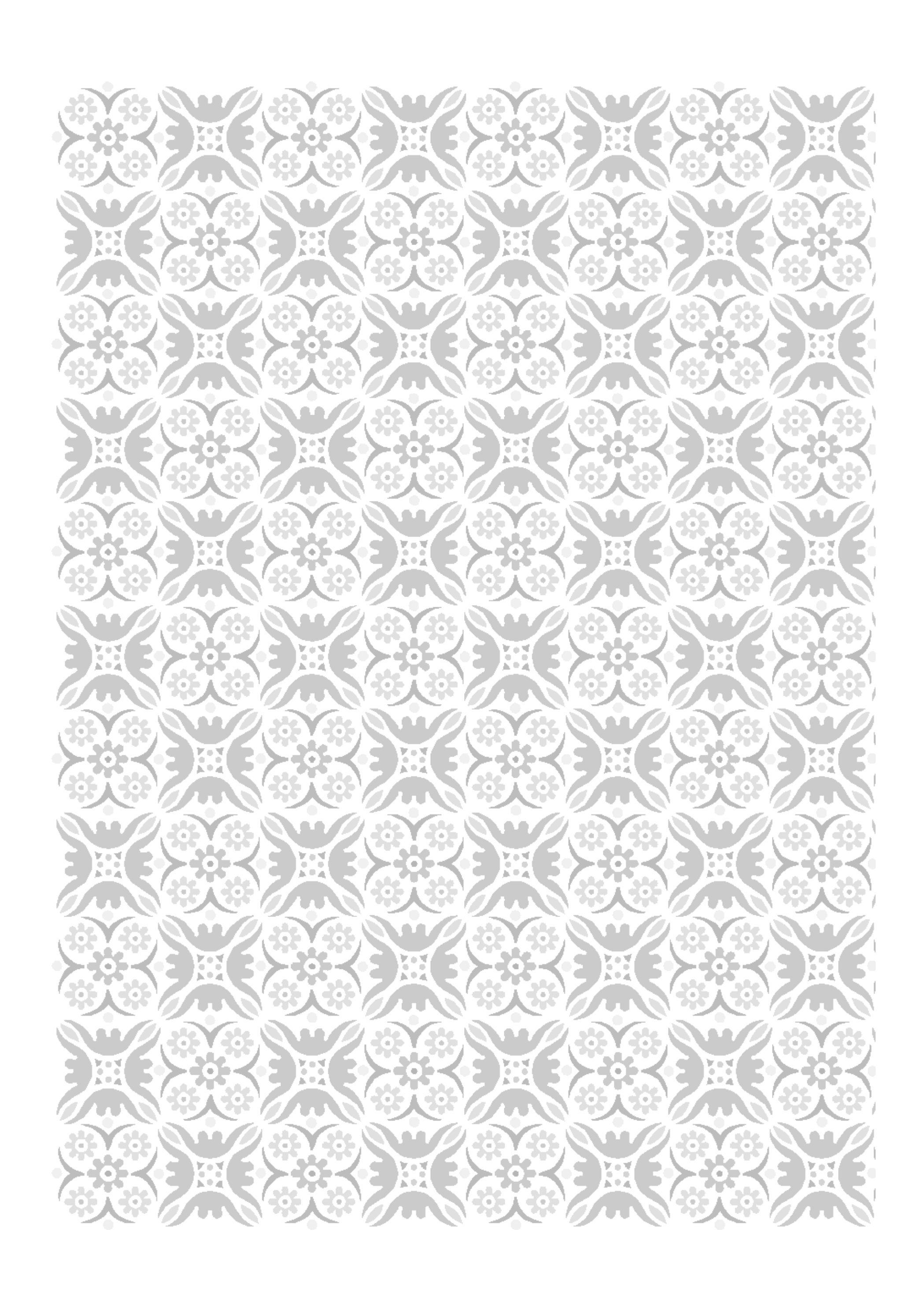
(١) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، لليافعي (ص ٦٤).



الفَصْلُ الأَوَّلُ

مُقَدِّمَاتٌ عَنِ الشُّبُهاتِ





المبحث الأول
تَعْرِيفُ الشُّبُهَاتِ

الشبهات جمع شبهة، والشُبْهة في اللغة: الالتباسُ[١]، أي التباس الحق بالباطل.

فالشبهات هي تلبيسات وتحريف للحقائق، بأن يُؤتى بالباطل فيُلبس لباس الحق لينخدع به الناس.

قال ابن القيم رحمه الله: «الشُبهة: **واردٌ يردُ على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له**... وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحابُ حُسْنِ ظاهرٍ، فينظر الناظر فيما أَلْبَسَتْه من اللباس فيعتقد صحتها.

وأما صاحب العلم واليقين، فانه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره الى باطنها، وما تحت لباسها؛ فينكشف له حقيقتها»[٢].

فالشبهات إذن تلبس الحق بالباطل فتخلط بينهما على وجه يضيع معه الحق، ولو جاء الباطلُ في صورتِه الحقيقية، فرُؤِي باطلًا محضًا؛ لردّته العقولُ، ومَجَّتْه النُّفوسُ، ولكنْ عندَما زُيِّن بالحقِّ زورًا، ولُبِّس بالصِّدقِ كذبًا

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/١٧).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/٣٩٤ ـ ٣٩٥).

اختَلَط حقُّه بباطلِه، وكذبُه بصدقِه، فكان التَّزييفُ فيه داعيًا لقبولِه، والتَّلبيسُ جالبًا للاعتقادِ فيه، ولذلك ذَمَّ اللهُ اليهودَ والنصارى الَّذين يَلبِسُونَ الحقَّ بالباطلِ، ويَكتُمون الحقَّ، فنهاهم عن تلك الفعلةِ القبيحةِ، وحذَّرهم منها بقولِه سُبحانَه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] وقال : ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

فاللبس هو «الخلط، لَبَستُ عليه الأمرَ ألبِسُه إذا مزجت بيّنَه بِمُشْكِلِه وحقَّه بِبَاطِلِه، قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩] وفي الأمر لُبْسَة أي ليس بواضح، ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه للحارث بن حوط: يا حارث إنه ملبوسٌ عليك، إن الحقَّ لا يُعرف بالرجال، اعرف الحقَّ تعرفْ أهله»[(١)].

والشبهات المثارة حول الإسلام مهما كثرت فإن دلائل الحق وبينات الهدى تدحضها إن شاء الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وهكذا كلما كان الناس أحوج إلى معرفة الشيء، فإن الله يوسع عليهم دلائل معرفته، كدلائل معرفة نفسه، ودلائل نبوة رسوله، ودلائل ثبوت قدرته وعلمه، وغير ذلك، فإنها دلائل كثيرة قطعية، وإن كان مِن الناس مَن قد يضيق عليه ما وسعه الله على من هداه، كما أن من الناس من يعرض له شك وسفسطة في بعض الحسيات والعقليات، التي لا يشك فيها جماهير الناس»[(٢)].

(١) تفسير القرطبي (١٩/٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٩/١٠).

المبحث الثاني

تَعْرِيفُ الوَسْوَاسِ



يشتبه على بعض الناس الفرق بين الشبهات والوساوس، وقد لا يتمكن من تمييز الفرق بينهما لتشابههما، لذلك وقبل دراسة منهجية الرد على الشبهات يجب تمييزها عن الوسواس حتى تكون المعالجة صحيحة ودقيقة.

الوسواس أو الوسوسة: هي حديث النفس والأفكار، والرجل الموسوس، هو الذي غلبت عليه الوسوسة، وقد وسوست إليه نفسه وسوسة ووِسواسًا بالكسر، وهو بالفتح: الاسم، والوَسْواس أيضا: اسم للشيطان، ووسوس، إذا تكلم بكلام لم يبينه(١).

فالوساوس أفكار تأتي للإنسان:

إما من نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وإما من الشيطان، كما وسوس لأبينا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وهذه الوساوس تُشكّكه في دينه أو في ربه أو في رسوله ﷺ.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٨٦/٥)، ولسان العرب، لابن منظور (٢٥٥/٦).

والمسلم لا يؤاخَذ على وساوس النفس والشيطان، ما لم يتكلم بها أو يعمل بها، لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]. وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ولقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**»[١]، ولكنه مأمور بمدافعتها، فإذا ما تهاون في مدافعتها واسترسل معها فإنه قد يؤاخذ على هذا التهاون.

وقد يأتي الشيطان ويوسوس للمسلم أشياء منكرة في حق الله تعالى، أو رسوله، أو شريعته، يكرهها المسلم ولا يرضاها، فمدافعة هذه الوساوس وكراهيتها دليل على صحة الإيمان، فعن أبي هريرة ﵁ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «**وقد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**»[٢]، وفي رواية عائشة[٣] وابن مسعود[٤] ﵄: «**محض الإيمان**».

وتدل روايات الحديث على عِظم ما يجدونه في نفوسهم، ففي رواية: «قالوا: يا رسول الله إنا لنجد في أنفسنا شيئًا لأن يكون أحدنا حُمَمَة[٥] أحب إليه من أن يتكلم به»[٦].

(١) رواه البخاري (٤٩٦٨) ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ﵁.
(٢) رواه مسلم (١٣٢).
(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤٧٥٢).
(٤) رواه مسلم (١٣٣).
(٥) قال الطيبي في شرح المشكاة (٢/٥٢٥): «الحمم: الفحم والرماد، وكل ما احترق بالنار، والواحد حُمَمَة».
(٦) صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان) (١/٣٥٩).

وفي رواية: «إني أحدث نفسي بالحديث، لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به»[(١)].

وفي رواية: «لو خر من السماء، فتخطفه الطير كان أحب إليه من أن يتكلم به»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أي: حصول هذا الوسواس، مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو، فدافعه حتى غلبه، فهذا أعظم الجهاد، والصريح الخالص، كاللبن الصريح، وإنما صار صريحاً، لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية، ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً»[(٣)].

وقال الإمام الخطابي رحمه الله: «قوله ذاك صريح الإيمان، معناه أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم والتصديق به حتى يصير ذلك وسوسة لا يتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه أنفسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله فكيف يكون إيماناً صريحاً، وقد روي في حديث آخر أنهم لما شكوا إليه ذلك قال الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»[(٤)].

قلت: يشير إلى الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل

(١) مسند أحمد (٩١٥٦).
(٢) شرح السنة للبغوي (١/١٠٩).
(٣) الإيمان الكبير، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠).
(٤) معالم السنن (٤/١٤٧)، وبنحوه المازري في المعلم بفوائد مسلم (١/٣١٣).

إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه، يُعرّض بالشيء، لأن يكون حُمَمة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: «**الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[(١)].

قال الصنعاني رحمه الله: «قوله: «الذي رد كيده إلى الوسوسة» معناه: أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه، فيكيد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد»[(٢)].

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٩٧)، وأبو داود (٥١١٢)، قال محققو المسند (٤/١٠): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) التحبير لإيضاح معاني التيسير، للصنعاني (١/١٩٨).



المبحث الثالث
الفَرْقُ بَيْنَ الوَسَاوِسِ وَالشُّبُهَاتِ



هناك شبه بين الوسوسة والشبهة، وهناك أيضًا فروق ظاهرة بينهما، ومن المهم معرفة الفرق بين صاحب الوسواس وصاحب الشبهة، لأن طريقة المعالجة تختلف، ويمكن تلخيص هذه الفروق في أمرين:

١ ـ الموسوس غير راغب في ما يأتيه من أفكار، فهو يعلم أن الله موجود وأن الدين صحيح، لكن يأتيه خاطر عابر من غير إرادته فيستقر في ذهنه فيفزعه، فيزداد وروده عليه وفزعه، ولو لم يكن مؤمناً بالله وبوجود النار لما فزع منها.

لذلك لا حساب عليه إن شاء الله، قال الحافظ ابن كثير ﵀: في قوله ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤] «أي: هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخصُ دفعَه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلَّف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان»[(١)].

أما الشاك المتأثر بالشبهات فهو يسمع الشبهة ويقلّب فِكره فيها بإرادته فيميل إليها ويحكم عليها بإرادته أنها شبهات منطقية، ومن الممكن عنده جداً

(١) تفسير ابن كثير (١/٧٣٧).

أن تكون صحيحة، وقد يتوقف في شأن إيمانه.

٢ ـ الموسوس قد يكون جاهلاً بجواب الشبهة التي أدخلها عليه الوسواس، فيسأل عنها، فيقتنع عقلُه أول الأمر، لكن الأفكار تُلح عليه ولا تفارقه وتظل تدور في رأسه رغم معرفته بأنها غير صحيحة، ورغم محاولاته طردها، وتظل تأتيه بصيغ جديدة وتقول له: (لكن ماذا لو...).

أما الشاك فبمجرد معرفته لجواب الشبهة واقتناعه بها فإنه يزول تردده وينشرح صدره، وتفارقه الأفكار إذا كان من المنصفين.

وهذا الكتاب في مجمله هو معالجة للشبهات، أما معالجة الوسواس ففي المبحث التالي.



المبحث الرابع
عِلَاجُ وَسْوَاسِ العَقِيدَةِ[1]



ينبغي على المبتلى بوسواس العقيدة أن يطمئن، لأن كراهته لهذا الوسواس ورغبته في التخلص منه يُعدُّ من صريح الإيمان ومحض الإيمان كما سبق في حديث النبي ﷺ.

ومما يدعو أيضًا إلى الاطمئنان أن يعلم أن الله ﷻ لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فلا يضر المسلم ما لا يستطيع صرفه من الخواطر الشيطانية والوساوس، فإنه طالما لم يترجمها إلى قول أو عمل فهي داخلة تحت عفو الله ومغفرته.

واعلم أخي المبتلى بوسواس العقيدة أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بعلاج لهذا الوسواس، ولعلي أسميه **(علاج التاءات الأربعة)** وهو التأكيد، والتطمين، والتحصين، والتشاغل.

وبيانها على النحو التالي:

١ ـ **تأكيد الإيمان**، فإن من أنفع ما يدفع وسواس الشيطان تأكيد الإيمان في النفس، أي ترسيخه في النفس والنطق به باللسان، وقد أرشد النبي ﷺ

(١) وقد أفردتُ هذا المبحث وما قبله في رسالة صغيرة سميتها (العلاج الشرعي للوسواس) ليعم النفع إن شاء الله.

إلى ذلك، فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خَلَقُ اللهُ الخَلْقَ، فمن خَلَقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله**»[1].

«فأمر النبي ﷺ العبد أن يقول: آمنت بالله أو آمنت بالله ورسوله، فإن هذا القول إيمان وذكر الله يدفع به ما يضاده من الوسوسة القادحة في العلوم الضرورية الفطرية، ويشبه هذا الوسواس الذي يعرض لكثير من الناس في العبادات حتى يشككه هل كبر أو لم يكبر؟ وهل قرأ الفاتحة أم لا؟ وهل نوى العبادة أم لم ينوها؟ وهل غسل عضوه في الطهارة أو لم يغسله؟ فيشككه في علومه الحسية الضرورية.

وكونه غسل عضواً أمر يشهده ببصره، وكونه تكلم بالتكبير أو الفاتحة أمر يعلمه بقلبه ويسمعه بأذنه، وكذلك كونه يقصد الصلاة مثل كونه يقصد الأكل والشرب والركوب والمشي، وعلمه بذلك كله علم ضروري يقيني أوليٌّ لا يتوقف على النظر والاستدلال ولا يتوقف على البرهان، بل هو مقدمات البرهان وأصوله التي يبنى عليها البرهان أعني البرهان النظري المؤلف من المقدمات، وهذا الوسواس يزول بالاستعاذة وانتهاء العبد، **وأن يقول إذا قال: لم تغسل وجهك، بلى، قد غسلت وجهي، وإذا خطر له أنه لم ينو ولم يكبر، يقول بقلبه: بلى قد نويت وكبرت فيثبت على الحق ويدفع ما يعارضه من الوسواس**، فيرى الشيطان قوته وثباته على الحق، فيندفع عنه، وإلا فمتى رآه قابلاً للشكوك والشبهات، مستجيباً إلى الوساوس والخطرات، أورد عليه

(١) رواه مسلم (١٣٤).

من ذلك ما يعجز عن دفعه وصار قلبه مورداً لما توحيه شياطين الإنس والجن من زخرف القول وانتقل من ذلك إلى غيره إلى أن يسوقه الشيطان إلى الهلكة»[(١)].

وقال الإمام العراقي رحمه الله مبينًا علاج الوسواس: «ينبغي مع الإعراض عن ذلك والانتهاء عنه النطق بالإيمان والتصريح به فيقول آمنت بالله ورسله»[(٢)].

٢ ـ **التطمين**، بأن يعتقد الموسوس بأن الوسواس لا يدل على ضعف الإيمان، ولا قلَّة الديانة، فقد أصاب حتى صحابة النبي ﷺ خير القرون، وهذه الوساوس وكراهيتها دليل على صحة الإيمان، كما سبق في الحديث: **«ذاك صريح الإيمان»**.

٣ ـ **التحصين بالتعوّذ والأذكار**، أي الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، فإن الوسواس مصدره الشيطان، فهو الذي يوسوس في صدور الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس].

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: «فإن عَرَضَ لك فيه الشيطان بشبهة، فدواؤه الأدلة..، فإن عرض لك بداء الوسواس فدواؤه الاستعاذة»[(٣)].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣١٧ ـ ٣١٨).
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/١٦٤).
(٣) القبس في شرح الموطأ (٣/١١٧٩).

وقد روى الشيخان عن أَبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه: فليستعذ بالله ولينته**»(١).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لَمّة بابن آدم وللملك لَمّة: فأما لَمّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] (٢).

قال المناوي ﷺ: «**إن للشيطان لَمّة** ـ بالفتح ـ قُرب وإصابة، من الإلمام وهو القرب.. **وللملك لمة** المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك»(٣).

فذكر الله يطرد الشياطين ووساوسها، «ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان، فذكرُ الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة، وهو معنى

(١) رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (٢٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٩٨٨)، والطبري في تفسيره (٦/٥) وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٣٨).

(٣) فيض القدير (٢/٤٩٩).

قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(١)].

٤ ـ التشاغُل، فالإعراض عن هذه الوساوس والانشغال عنها من أعظم الوسائل في دفعها ورفعها، وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث السابق فقال ﷺ: «... **فليستعذ بالله ولينته**». أي: ينشغل ويعرض عن هذه الوساوس، ومما يعين على ذلك أن يشغل الموسوس نفسه بممارسة أنشطة وأعمال تأخذ من جهده البدني والفكري حتى يصرف ذهنه عن الوساوس، وهذا مما ينفع كثيرًا إن شاء الله.

ولكن ينبغي أن يُنتبه إلى أن هذا الإعراض لا يصلح للشبهات التي تمكّنت من الإنسان وأتته من خارج نفسه فأشغلت فكره، فهذه لابد من إزالتها بالحجة والبرهان، بخلاف الوسواس الذي يُدفع بالاستعاذة والإعراض.

قال الإمام المازري ـ شارحًا الحديث السابق ـ: «ظاهره أنه أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإِعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها.

والذي يقال في هذا المعنى: إن الخواطر على قسمين:

فأما **التي ليست بمستقرة** ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإِعراض عنها، وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوَسوسة، فكأنه لما كان أمراً طارئاً على غير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه.

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٥/١٠٢).

وأما **الخواطر المستقرة** التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا باستدلال ونظر في إبطالها، ومن هذا المعنى حديث: «لَا عَدْوَى» مع قول الأعرابي: فما بال الإِبل الصحاح تجرِب بدخول الجمل الأجرب فيها؟ وعلم ﷺ أنه اغتر بهذا المحسوس وأن الشبهة قدحت في نفسه فأزالها عليه السلام من نفسه بالدليل فقال له: «فمن أعدى الأول»[1].



(١) المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/٨١).



المبحث الخامس
مِنْ بَوَاعِثِ الشُّبُهَاتِ



النزوع نحو التأثر بالشبهات له بواعثه الكامنة، والتي قد تخفى حتى على صاحبها نفسه، الذي يتخذ الشبهات مجرّد ستار يخفي به هذه البواعث، وأول خطوة في معالجة الشبهات هي معرفة هذه البواعث ومعالجتها، وقد لا يحتاج المتأثر بالشبهات إلى أكثر من ذلك، ومن أبرز هذه البواعث:

۞ أولًا: عمى الانبهار.

لا شك أن نمط الحياة المهيمن على العالم أجمع في هذا العصر والمعبّر عن التقدم والتطور هو نمط الحياة الغربية، فالثقافة الغربية قد بسطت هيمنتها على العالم شرقًا وغربًا بشكل جلي، ولا يختص بذلك العالم العربي والإسلامي فحسب، بل يتعدى إلى غيره كذلك، وأوضح مثال على ذلك أنك تجد الشاب العربي والشاب الهندي والشاب الصيني كلهم يلبسون اللباس الغربي، بينما لا تجد الشاب الغربي يلبس اللباس العربي أو الهندي أو الصيني!

ولا شك أن لهذه الهيمنة الثقافية أسبابًا عديدة، منها حركات الاحتلال التي اجتاحت العالم في القرون المنصرمة تحت مسمى الاستعمار، ومنها الآلة الإعلامية الضخمة بمختلف أنواعها، ومنها الانبهار بالتقدم التقني

والاقتصادي الغربي، وغيرها.

وإذا تأملنا المسائل الشرعية التي تُثار حولها زوبعةُ الشبهات دائمًا نجدها تلكم المسائل التي تتصادم مع الثقافة الغربية فقط، ولا نجد الشبهة تحوم حول غيرها من المسائل التي لا تتصادم معها، وهذا يعني أن هناك عمىً يعمي الإنسان عن رؤية الحق، وهو عمى الانبهار بالثقافة الغربية.

قال الدكتور وائل حلاق[1]: «عملت فكرة التقدم بكل تجلياتها تقريبًا على بناء التاريخ بطريقة متمركزة حول أوربا، بعد أن توغلت فيما سماه شيلر (scheler) بنية الهيمنة الفكرية الغربية»[2].

ومن الإشكالات الكبرى في هذا الانبهار أنه يقلب الحقائق، ويجعل قبائح الثقافة المهيمنة محاسنًا!

ومن أطرف ما وقفتُ عليه في هذا المعنى قول هدى شعراوي[3] وهي

(١) الدكتور وائل حلاق (ولد ١٩٥٥م) باحث فلسطيني الأصل، كندي الجنسية، نصراني الديانة، متخصص في القانون وتاريخ الفكر الإسلامي، يعمل أستاذًا للعلوم الاجتماعية في جامعة كولومبيا ـ قسم دراسات الشرق الأوسط. التحق بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة واشنطن بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة مكغيل وعمل أستاذًا مساعدًا في القانون الإسلامي عام ١٩٨٥م، من كتبه المنشورة: الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، وكتاب: مقدمة في القانون الإسلامي، وكتاب: الشريعة: النظرية، التطبيق، والتحولات.

(٢) الدولة المستحيلة، وائل حلاق (ص ٥٤).

(٣) هدى شعراوي (١٨٧٩ ـ ١٩٤٧م) هي نور الهدى بنت محمد سلطان باشا ـ التي تسمت فيما بعد على الطريقة الأوربية بهدى شعراوي إلحاقاً لها باسم زوجها «على باشا شعراوي» ـ وأبوها محمد سلطان باشا الذي كان يرافق جيش الاحتلال الإنكليزي في زحفه على=

تحكي موقفًا حصل لها في باريس: «**وقد أعجبني في باريس كل شيء حتى شراسة أخلاق الرعاع فيها**، لأنها لا تخلو من خفة الروح وتعبر عن شخصية لا تكلف فيها ولا تغيير! فالفرنسيون أشخاص متفردون بعبقريتهم!، مستقلون في أفكارهم وطباعهم وأعمالهم وصفاتهم وحتى في عيوبهم! ولذلك تجدهم محافظين على شخصيتهم فخورين بها متباهين بحريتهم، متفانين في تقديسها، ومع ذلك فقد تألمت من نتائج التطرف في تلك الحرية في بدء عهدي بزيارتها، إذ كنت أظن أن الصغير والكبير من كل طبقة في تلك الأمة على جانب عظيم من الرقة وحسن المعاملة، وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما أردت لأول مرة زيارة أحد حوانيت باريس الكبرى في يوم حُدد لتخفيض أثمان البضائع، وجدت على أبواب الحانوت زحامًا شديدًا، فوقفت عند الباب لأُمكّن بعض الداخلين من المرور مجاملة كما هي عادتنا في بلاد الشرق، ظانة أنه سيأتي دوري وأجد من بين الداخلين من يرد لي تلك المجاملة،

= العاصمة والذي كان يدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته ويهيب بها علانية أن تقدم له كافة المعاونات والمساعدات، وقدم هدايا لقادة جيش الاحتلال وذلك حسب ما ورد في «جريدة الوقائع المصرية»، «شكراً لهم على إنقاذ البلاد من غوائل الفئة العاصية»!، وقد أنعمت عليه ملكة بريطانيا فيكتوريا برتبة «سير» جزاء لخدماته لبلادها.

كانت هدى شعراوي منبهرةً بالغرب جدًا، ويظهر ذلك جليًا في مذكراتها، وكانت من أوائل دعاة السفور في مصر، وقد قالت وداد السكاكيني في ترجمتها: «لما عادت هدى شعراوي للمرة الأولى من الغرب كانت تفكر في هذه التقاليد الموروثة التي لا تسمح لها بالظهور سافرة في بلادها، فثارت عليها وما كادت تطل على الإسكندرية حتى ألقت الحجاب جانباً ودخلت مصر مع صديقتها (سيزا نبراوي) بدون نقاب، فلقيتا من جراء هذا السبق بالسفور لغطاً وتعنتاً من المتزمتين!».

انظر: كتاب نساء شهيرات من الشرق والغرب، لوداد السكاكيني.

ولكني لاحظت للأسف أنه لم يشعر بوجودي أحد، ورأيتني مدفوعةً بشدة بين تلك الأمواج المتلاطمة من الأجسام البشرية، **تتقاذفني موجة وتتلقاني أخرى باللكم والسير على قدمي، فكادت تنهمر دموعي على خدي من هذا التسابق الرهيب**، وثم وجدت نفسي أمام منضدة محوطة بالمتفرجين والمتفرجات، وقد مددت يدي بلطف إلى قطعة من القماش أعجبتني، **ولكن سرعان ما اختطفتها من يدي إحدى المتفرجات بغلظة حتى كادت الدموع تفر من عيني مرة أخرى! ولكني كتمت تأثري حتى لا يضحكوا أو يسخروا مني**، وأخيرًا خرجتُ من المحل بعد أن اتخذت من ذراعي مجذافين أستعين بهما على النجاة من تلك اللجج البشرية المتراصة.

مثل هذه الأشياء لم ترقني أول الأمر، **ولكني انتهيت منها إلى أن أفهم أن التزاحم في الحياة هو سبب نهضة تلك الأمم وتفوقها، وإن كان ذلك مظهرًا من مظاهر الأنانية**، وأن تسامح الشرق ورقة شعوره هما سبب تأخره واضمحلاله، رغم ما في ذلك من نبل ودعة!»[1].

تأمل هذا الكلام يكفي في استيعاب أثر الانبهار في قلب الحقائق، وتحسين القبيح، وتقبيح الحسن.

والانبهار بالأقوى ظاهرة مألوفة في النفس البشرية، على مر العصور وتعاقب الدهور، ولم يسلم منها الغربيون أنفسهم في فترة تاريخية ما، فإنه لما كانت الأندلس مملكةً إسلامية مزدهرة كان هناك ميل من الشباب الأوروبي للتشبه بالعرب والمسلمين، ففي عام ٨٥٤م يشكو الأسقف ألفار

(١) مذكرات هدى شعراوي (ص ١٠٩) وعلامات التعجب منّي.

(Alvar) من انجذاب الشباب النصارى الشديد إلى الشعر العربي، ونبذهم لدراسة اللغة اللاتينية لمصلحة اللغة العربية[1].

ويقول الدكتور محمود سعيد عمران متحدثًا عن أسقف مدينة عكّا سنة ١٢١٦م ومعاناته مع المتأثرين بالعرب والمسلمين: «عانى الكثير من الإفرنج المتمشرقين الذين كان يطلق عليهم اسم Poulains «بولان» والذين تأثروا بالعادات الشرقية خاصة في ملبسهم واستخدامهم اللغة العربية في حياتهم اليومية، هذا بالإضافة إلى افتقارهم للروح الصليبية واعتيادهم على حياة الكسل والترف والفساد، ولذلك اعتبرهم جاك دي فتري جماعة من الخونة الغشاشين الأفاقين»[2].

فهذا أمر يمكن أن يكون مفهومًا إلى حد ما، لكن ينبغي أن يكون عند الإنسان من الوعي ما يمنعه من ربط صحة دينه ومعتقداته بمجرد تقدم صناعي أو حضاري لأمة أخرى.

۞ ثانيًا: نزعة التمرد:

هناك شهوة خفية كامنة في قلوب بعض الناس، وهي نزعة التمرد على الأحوال الاعتيادية والأوامر والنواهي! حتى وصل الحال ببعضهم إلى التمرد على طبيعة جنسه كذكر أو أنثى! ومن هنا نشأت مشكلة الشذوذ!

وقد تتضخم هذه النزعة حتى تصل للتمرد علىٰ الإله نفسه! وقد يزيّن

(١) تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لوليام مونتغمري واط (ص ٥٧).
(٢) تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، (ص ٢٣٧).

له الشيطان أن هذا من جنس الشجاعة الأدبية والعزة والكرامة في رفض عبودية وطاعة الإله وقضائه وقدره، وقد يتقمص الشخصية العقلانية والمنطقية بين الناس[١].

حتى يصل الإنسان إلى أنه **لا يوجد شيء مقدّس إلا فكرة عدم وجود شيء مقدّس!** فيتمرّد على كل القيم والمُثُل بغض النظر عن صحتها وخطئها، وهذا ما توصل له الفيلسوف العدمي الملحد فريدريك نيتشه[٢] حيث قال: «إن آخر ما يمكن أن يخطر لي أن أعد به هو إصلاح البشرية، كما أنني لن أشيد أصناما جديدة؛ وليعلم القدامى ما الذي يجلبه الانتصاب على قدمين من صلصال. **(تحطيم الأصنام)** وهذه كلمتي المفضلة للتعبير عن المُثُل، هي حرفتي، ذلك أنه بمجرد أن ابتدعت أكذوبة عالم المثل قد تم تجريد الواقع من قيمته ومن معناه ومن حقيقته»[٣].

وقال أيضًا: «ليس عبثا إذن أن أكون قد دفنت اليوم السنة الرابعة والأربعين من عمري، فقد حُق لي أن أدفنها، ما كان جديرا بالحياة فيها تم إنقاذه، وغدًا خالدًا: **تقويض كل القيم**، والديثرامبوس الديونيزية

(١) انظر: الميديا والإلحاد، لأحمد حسن (ص ٤٦).

(٢) فريدريك نيتشه (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م) فيلسوف ألماني ملحد، التحق بجامعة بون، لدراسة فقه اللغة الكلاسيكي واللاهوت البروتستانتي، ثم عُين أستاذا مشاركا لعلم اللغة الكلاسيكي في جامعة بازل في عام ١٨٦٩م، وكان يرى أن القوة هي أساس الأخلاق وليس اللين والرحمة، وأُصيب بالعمى ثم بالجنون في آخر حياته حتى مات.
انظر: قصة الفلسفة، لويل ديورانت، (ص ٢١٢ ـ ٢٢٨).

(٣) هذا هو الإنسان، لفريدريك نيتشه (ص ٨).

(الأناشيد المدائحية)، وغروب الآلهة، ومحاولاتي لتعاطي الفلسفة بضربات المطرقة..»[١].

۞ ثالثًا: البواعث النفسية:

يروق لمروّجي الشبهات على اختلاف مناهجهم أن يظهروا بمظهر العقلانيين أصحاب الفكر والتنوير! وأحيانًا يبالغون في محاولة إثبات ذلك بشكل مثير للضحك، فيضعون في حساباتهم الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي صورًا للدماغ مثلًا! أو لأنشتاين! ونحو ذلك في محاولة مضحكة لتقمّص شخصية المفكر العقلاني، ولكن إذا تأملنا حقيقة حالهم سنجد كثيرًا منهم ـ وليس كلهم ـ يعاني من إشكالات نفسية تنعكس على معتقداتهم وتصوراتهم.

وقد ناقشتُ أحدهم مرةً، فطرح علي أسئلة تشكيكية سطحية، فأجبته عنها، ثم ناقش نقاشًا ينم عن ضحالة علمية واضحة، فحاولت أن أَنْحى بالحوار معه منحى آخر، فسألته عن حياته وعن علاقته بأسرته، فلما أتيت على ذكر والده تغيّر فجأة، ثم انفجر أمامي بالبكاء بشكل غريب! وقال: لا تذكر هذا الرجل أمامي! ثم سرد لي قصة مأساوية بينه وبين والده أثّرت على نفسيته بشكل عميق، فعلمتُ أن هذه الشبهات التي طرحها ما هي إلا ستار يستر به الحالة النفسية التي يعيشها، فأرشدته بعدها إلى العلاج النفسي.

وقد أُفْرِدت عدةُ مؤلفات عن علاقة البواعث النفسية بالإلحاد، منها:

---

(١) هذا هو الإنسان، لفريدريك نيتشه (ص ١٣).

كتاب «نظرية الأب المعيب» للدكتور بول فيتز، وكتاب «الإلحاد مشكلة نفسية» للدكتور عمرو شريف، وكتاب «تأملات في البواعث النفسية للإلحاد» تأليف: رشود بن عمر التميمي، وغيرها.

۞ رابعًا: الشهوات:

البشر معرّضون للخطأ والتقصير، بل والوقوع في الفواحش، ولكن المؤمن إذا عصى تاب وإذا سقط قام، فليست المعصية منهجًا في حياته، وإنما هي أمر طارئ يدافعه ويجاهده.

وفي ظل هذا الانفتاح الكبير الذي نعيشه اليوم تيسّر للناس طريق الوصول للحرام والفواحش، فخاض في وحلها من خاض، وغاص فيها دون توبة لله تعالى من غاص، مما جعل هذه الفواحش جزءًا أصيلًا في حياته مع الأسف، وهذا يقوده إلى الانسلاخ من الدين بالكلية والعياذ بالله، فعن حذيفة ﵁ أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: «لا، ولكنهم كانوا إذا أُمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه»(١).

وقد عبّر عن هذا المعنى أحد السلف وهو أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابوري ﵀ تعبيرًا دقيقًا حيث قال: «المعاصي بريدُ الكفر»(٢).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي ﵀: «الإصرار على المعاصي وشُعب

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٧٨).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٢٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/٣٨٤).

النفاق من غير توبة يُخشى منها أن يعاقب صاحبها بسلب الإيمان بالكلية، وبالوصول إلى النفاق الخالص وإلى سوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك، كما يقال: إن المعاصي بريد الكفر»(١).

فالشهوات بوابة للشبهات، وذلك لأمرين:

١ ـ أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما استمر المرء في المعاصي، واستمرأ الفواحش، قَلَّ مستوى الإيمان في قلبه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الإيمان عند جميع أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد حكاه الشافعي وغيره عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وإضعاف المعاصي للإيمان أمر معلوم بالذوق والوجود، فإن العبد ـ كما جاء في الحديث ـ إذا أذنب نُكِت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستغفر صُقل قلبه، وإن عاد فأذنب نكت فيه نكتة أخرى، حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] فالقبائح تسوِّد القلب، وتطفئ نوره، والإيمان هو نور في القلب، والقبائح تذهب به أو تقلله قطعًا»(٢).

٢ ـ أن بعض الناس إذا خاضوا لُجّة المعاصي يبقى في قلبهم بصيصٌ من تأنيب الضمير، يتحرك بسبب معاصيهم، فيتضايقون منه، ويرغبون بإسكاته وكتمه، فيدفعهم إبليس إلى الكفر والعياذ بالله ليتخلصوا من هذا التأنيب بزعمهم!

(١) فتح الباري لابن رجب (١/١٩٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/٢٧).

كان هناك شاب صالحٌ محافظٌ على الصلاة في المسجد، فانحرف عن الجادة مع الأسف، ولم يتب، فازداد انحرافًا حتى سقط في حفرة اللادينية! فتواصلت معي والدته وطلبت مني أن أجلس معه وأحاوره، وكان رافضًا للحوار، لكن وتحت إلحاح منها وافق على محاورتي، فلما تحاورنا لم أجد منه ردودًا تدل على أدنى اطلاع أو معرفة! فسألتُ أخاه فيما بعد عن ذلك فقال: ليست المسألة مسألة فكر ولا اطلاع، وإنما المسألة أنه كان يتضايق وينزعج من وخز ضميره إذا أنّبه وتذكّر سالف أيامه الصالحة، ويزداد هذا الوخز إذا سمع صوت المؤذن يؤذن للصلاة، فإنه يذكّره بخطئه وبما كان عليه من الصلاة والصلاح الذي فقده، فسوّل له الشيطان ما سوّل وقرر ترك الإسلام ليسكت هذا التأنيب! لكن هيهات.



المبحث السادس
أَقْسَامُ أصْحَابِ الشُّبُهَاتِ



معرفة المناهج والأفكار والعقائد من الأمور المهمة جدًا للداعية إلى الله تعالى، لأن أسلوب الدعوة يختلف من مدعو إلى آخر، فلا بد أن يعرف الداعية معتقد المدعو وطريقة تفكيره حتى يتمكن من دعوته بشكل صحيح.

ويشهد لذلك ما في الصحيحين عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..**»[1] فأعلمه النبي ﷺ بمعتقد هؤلاء القوم ليستعد لهم في الدعوة بما يناسبهم.

وأصحاب الشبهات، والذين يتأثرون بها ويثيرونها ليسوا سواءً، بل هم مختلفون في المناهج والمنطلقات، ويمكن تقسيمهم بشكل مجمل إلى منهجين:

۞ المنهج الأول: منهج رفض مرجعية الشريعة الإسلامية:

وأصحاب هذا المنهج يصرّحون ويجاهرون برفضهم الشريعة الإسلامية كمرجع في العقائد والأحكام، فهم لا يعترفون بالله تعالى ربًّا وبمحمد بن

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٢٥) ومسلم (١٩).

عبد الله ﷺ رسولًا، ولا يدينون بدين الإسلام.

وهؤلاء هم غير المسلمين عمومًا، ومنهم اليهود والنصارى واللادينيون من الملاحدة والربوبيين واللاأدريين وغيرهم ممن يرفض أن تكون الشريعة الإسلامية مرجعًا، فهم يجاهرون برفض الإسلام ونقده صراحةً، ويقوم بعضهم بالتلبيس والتدليس وإثارة الشبهات، وتقبيح بعض الأحكام الشرعية.

وقد تكون نسبة مناعة الفرد المسلم تجاه أصحاب هذا المنهج عالية، وممانعته إزاء أفكارهم شديدة، وذلك ـ ببساطة ـ لأنهم كُفار، ليسوا معه في الدين والملة، فيضعف تأثيرهم عليه إلى حد كبير.

وينبغي أن يُنتبه إلى خطأ شائع يقع فيه بعض المسلمين، وهو الدخول مع أصحاب هذا المنهج في نقاش حول فروع الشريعة الإسلامية قبل تثبيت أصولها معهم، وهذا خلل عظيم وخطأ جسيم، وذلك لسببين:

١ ـ أن من هدي النبي ﷺ في الدعوة أولوية العقيدة، والبدء بغرس شجرة التوحيد، وتثبيتها قبل بيان فروعها وتوضيحها، كما في تتمة الحديث السابق الذي قال فيه رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتَهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه**




ليس بينه وبين الله حجابٌ»[١].

فأمره النبي ﷺ أن يبدأ معهم بالتوحيد قبل الصلاة والزكاة.

٢ ـ مناقشة غير المعترف بمرجعية الشريعة في فرع من فروعها هو نقاش ضائع لأنه غير قائم على أرضية مشتركة ومرجعية واحدة، فليست هناك نقطة التقاء بين الطرفين، ولا أرضية مشتركة بينهما، فلا يؤدي هذا النقاش إلا إلى زيادة التشغيب على فروع الشريعة، والتشكيك في قلوب أتباعها، فلا ينبغي مناقشة الشبه الفرعية مع أصحاب هذا المنهج، وإنما يُردون إلى الأصول فيُناقشون فيها أولًا.



فمناقشة ملحد مثلًا في فرع من فروع الشريعة قبل إثبات أصولها له كمثل مناقشة شاب غِرّ في أهمية وفوائد هذا الزرّ (الذي في الصورة) وهو لا يعرف طريقة عمل الجهاز! ولا يعرف لماذا صُنع! ولا يعرفه أصلًا!

فهذا النقاش محكوم عليه بالفشل قبل أن يبدأ..

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٢٥) ومسلم (١٩).

۞ المنهج الثاني: منهج ادعاء قبول مرجعية الشريعة الإسلامية:

أما المنهج الأخطر ـ من وجهة نظري ـ في تبني الشبهات وطرحها، فهو منهج ادعاء قبول مرجعية الشريعة الإسلامية، وأصحاب هذا المنهج على قسمين:

* **القسم الأول: المخادعون**، الذين لا ينكرون الاعتراف بمرجعية الشريعة الإسلامية علنًا، ولكنهم يكفرون بها باطنًا، ويتنصّلُون منها ومن أحكامها، فالمسلم البسيط يراهم من جملة المسلمين، ولم تبلغ بهم الجرأة للتصريح بالردة ورفض مرجعية الشريعة الإسلامية كليًا، بل بعضهم يرتدي لباس الدين وعمامة المشيخة! ويدعي أنه متخصص في العلوم الشرعية! وهنا تكمن الخطورة، فإن المسلم ينظر إليه على أنه مسلم بل من العلماء أو الباحثين أو المفكرين الإسلاميين! فتكون حصون المناعة الفكرية مفتوحة غير محكمة.

فيبدأ أصحاب هذا المنهج بعملية التفريغ الثقافي[(١)]، حيث يحافظون على رسومِ الإسلام الظاهرة وإهابه الخارجي، ثم يفرّغونه من الداخل، بإثارة الشكوك في أصوله وفروعه، ويحشون بدله زبالات الأفكار البشرية من الكفر والزندقة والتحلل من الأحكام الشرعية.

ويتزامن مع هذا عدة عوامل، منها اشتعال حالة الانبهار، واشتغال القلب بالانصهار مع الكفار، وغيرها من العوامل النفسية عند المتلقّين فتجعلهم

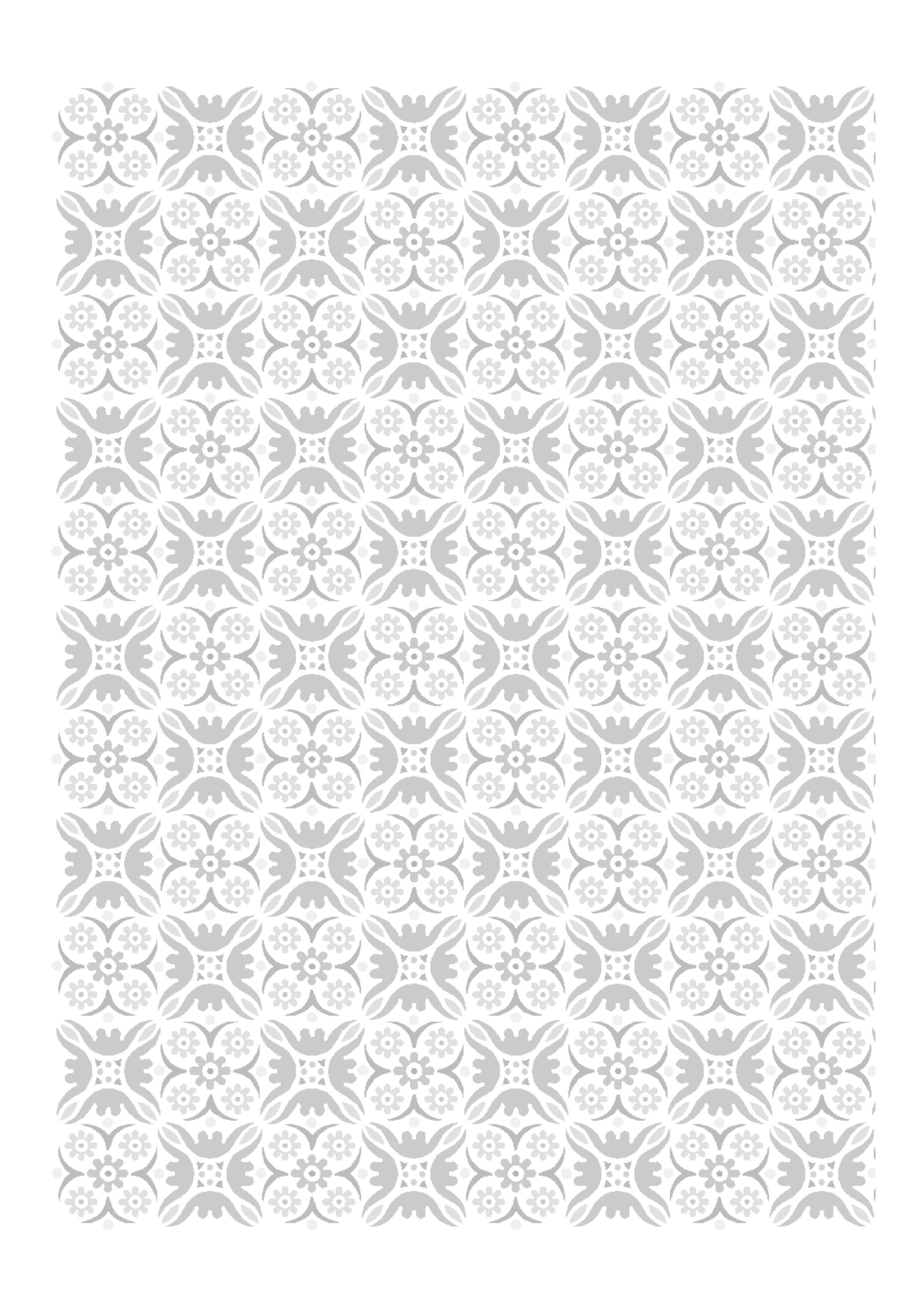
(١) استعرت هذا المصطلح من كلام الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله في كتابه الفذ «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، وقد استعملته على نحو مختلف قليلًا عن استعمال الشيخ.

لا يرغبون بالالتزام بشريعة رب العالمين، ولا يريدونها حاكمة عليهم، فيحصل هذا التصادم بين الهوى والشريعة الإسلامية، فيقعون في مأزق! فلا يملكون الجرأة الكافية للتصريح بعدم رغبتهم في الشريعة، وفي نفس الوقت لا يرغبون بالالتزام بها، فيسلكون هذا المنهج.

* **القسم الثاني: الصادقون في البحث عن الحقيقة**، وهؤلاء فئة من المسلمين لا يحملون في أنفسهم غلًّا على دينهم، ولا كراهية لشريعة ربهم، ولكنهم ابتُلوا بالوقوع في شيء من الشبهات أورثتهم شكوكًا لم يستطيعوا التخلّص منها، وهم صادقون في البحث عن الجواب الكافي والدواء الشافي، فحريٌ بهؤلاء أن يصلوا إلى الحقيقة ويطمئنوا باليقين إذا صدقوا في ذلك وسلكوا المنهجية الصحيحة فيه.

فهؤلاء يجب علينا الأخذ بأيديهم، وانتشالهم من لجة الشبهات إلى ساحل اليقين، ومن مرض الشكوك إلى عافية الطمأنينة.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب ممهدًا لطريق ذلك، فاتحًا أمامه أوسع المسالك، لننجوا جميعًا من المساوئ والمهالك، بإذن الله رب العالمين.

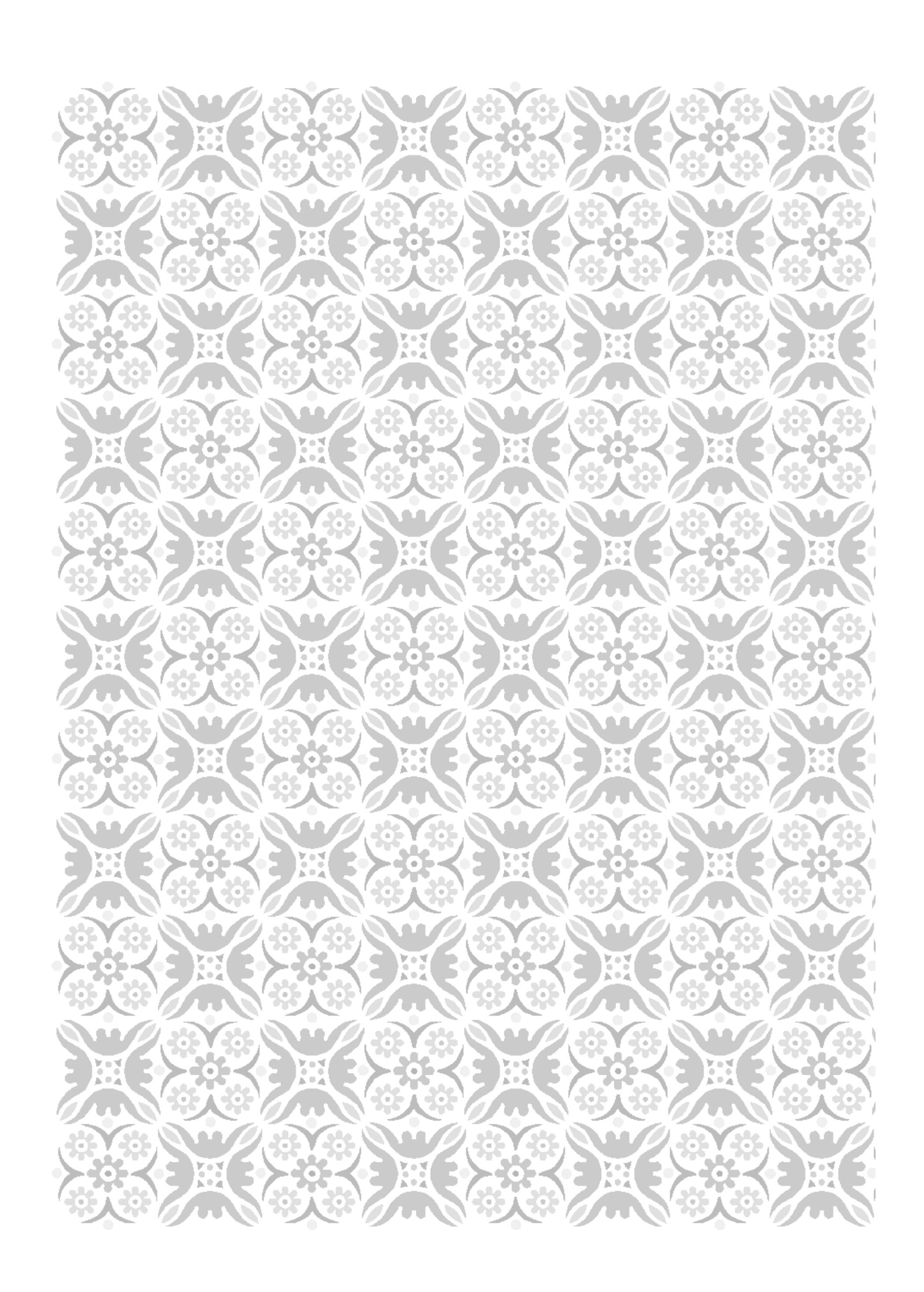




الفَصْلُ الثَّانِي

نُقْطَةُ البِدَايةِ: تَصْحيحُ مَصَادِرِ المَعْرِفة





أتاني مرةً شاب، فبدأ يناقشني عن الإسلام وبعض شرائعه، فسألته: هل أنت مسلم أم لا؟ فقال: أنا أعرّف نفسي بأنني باحث عن الحقيقة!

فقلت له: طيب، هذه الحقيقة التي تبحث عنها ما هي؟ وما شكلها؟ وكيف تعرف أنك وصلت إليها؟

فرجع للخلف قليلًا ثم قال: ها.. لا أدري، لم أسأل نفسي هذا السؤال من قبل!

فقلت له: إذن أنت تبحث عن ماذا؟! وإلى متى وأنت تجري في سباق لا نهاية له؟

فانْتَبَه، ورَجَعَ إلى الإسلام بحمد الله ونطق الشهادتين، أسأل الله لي وله الثبات على الحق.

لذلك نحن نحتاج قبل الخوض في أي نقاش أن نقف قليلًا ونتأكد من صلاحية الإدراك العقلي، واستقامة المنظومة المعرفية المتمثلة في مصادر المعرفة لدى الإنسان، لأن الإدراك العليل لن يجد حلاوة المعرفة واليقين كما أن اللسان العليل لن يجد حلاوة المطعوم والمشروب.

وعدم العناية بهذا الأمر يفسّر لنا السبب وراء موقف المنحرفين والمتأثرين بالشبهات، فإنهم إذا نوقشوا بالأدلة الناصعة والبراهين الساطعة، لا يرجعون عن انحرافهم! ولا يرعوون عن غيّهم! رغم وضوح الأدلة وشدة سطوعها!

وقد حدث هذا أمامي مرارًا، فكنت أناقش بعض الشباب وأسرد لهم

الأدلة العقلية والبراهين الجلية، التي لا يملك المرء أمامها إلا الإذعان والقبول، فأجد الواحد منهم بعد سردها يحملق في وجهي ثم يرفع كتفيه ويقول: لم أقتنع!

كنت أستغرب من ذلك أول الأمر وأتعجب منه غاية العجب، لكن زال هذا الاستغراب وتبدد العجب لما اكتشفت بعد مدة أن المشكلة ليست في الدليل، وإنما المشكلة في الآلة التي تُدرِكَ هذا الدليل وهي العقل والمنظومة المعرفية، فذكر الدليل وحده لا يجدي إذا كانت الآلة المدركة فاسدة[١]!

فحوارك مع شخص دون الاتفاق معه على نظرية المعرفة، ودون الوقوف معه على أرضية مشتركة يعتبر حوارًا عقيمًا، وجهدًا ضائعًا يصدق عليه قول القائل:

سارت مُشرِّقةً وسِرْتُ مُغَرِّبًا   شتَّانَ بين مُشَرِّق ومُغرِّبِ



فيجب إذن قبل ذكر الأدلة أن نُصحّح مسار هذه الآلة المدرِكة، وذلك بتصحيح مصادر المعرفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «فلا بد من علوم بدهية أوليّة يبتدؤها الله في قلبه، وغاية البرهان أن ينتهي إليها، ثم تلك العلوم الضرورية قد يعرض فيها شبهات ووساوس كالشبهات السوفسطائية...، والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان لأن غاية البرهان أن ينتهي إليها، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث، **ولهذا كان مَنْ أَنكر العلوم الحسية والضرورية لم يُناظَر**، بل

(١) انظر شرح الأصبهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٠).

إذا كان **جاحداً معانداً** عوقب حتى يعترف بالحق، **وإن كان غالطاً إما لفسادٍ عَرَضَ لحسه أو عقله لعجزه عن فهم تلك العلوم، وإما لنحو ذلك، فإنه يعالج بما يوجب حصول شروط العلم له وانتفاء موانعه**، فإن عجز عن ذلك لفساد في طبيعته عولج بالأدوية الطبيعية أو بالدعاء والرقى والتوجُّه ونحو ذلك وإلا تُرِك.

ولهذا اتفق العقلاء على أن كل شبهة تعرض لا يمكن إزالتها بالبرهان والنظر والاستدلال، **وإنما يُخاطَب بالبرهان والنظر والاستدلال من كانت عنده مقدمات علمية**، وكان ممن يمكنه أن ينظر فيها نظراً يفيده العلم بغيرها فمن لم يكن عنده مقدمات علمية أو لم يكن قادراً على النظر لم تمكن مخاطبته بالنظر والاستدلال»[1].

وقد اعتنت الشريعة بمصادر المعرفة، ووضّحتها غاية الوضوح، وذلك لأن «الإسلام هو دين الحجة والبرهان، فليس في دين الله مسألة إلا والتسليم بها قائم على الدليل العقلي، سواء كان ذلك من جهة التسليم بصدق النبي ﷺ، أو من جهة ما تتضمنه نصوص الكتاب والسنة من الاستدلال على مسائلها»[2].

أما المذاهب الفلسفية فقد تباينت مواقفها في ذلك، حيث انفرد كل واحد منها بمصدر من مصادر المعرفة، فوُجِد منها ما يحصر المعرفة في الحس، ووجد ما يحصرها في العقل، ونحو ذلك، أما الإسلام فإنه يُعطي

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٢) المعرفة في الإسلام، للدكتور عبدالله القرني (ص ٥).

كل مصدر من مصادر المعرفة حقه من القبول، على نمط تكاملي، بحيث يُكمل كل مصدر ما بدأه المصدر الآخر دون انحياز لمصدر على حساب غيره، مع مراعاة مجال وحدود كل مصدر من هذه المصادر.

وهذه المصادر أربعة، وهي: الفطرة والعقل والحس والخبر، وبيانها في المباحث التالية.



المبحث الأول
الفِطْرَةُ



الفطرة في اللغة بمعنى الخِلقة والابتداء والإنشاء، وفَطَر الأمر أي: ابتدأه وأنشأه[(١)]، وقد قال ابن عباس ﷺ: ما كنت أدري ما ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي: أنا ابتدأتُ حفرها[(٢)].

والفطرة كذلك هي الجِبلّة القابلة للدين الحق[(٣)]، والتي طُبِعَتْ عليها الخليقة من الدّين، فقد فَطَرَهُمُ الله على معرفته ورُبُوبيّته[(٤)].

قال الله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يُولَد على الفطرة؛ فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه؛ كمَثَل البهيمة تُنتَجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جدعاءَ؟**»[(٥)].

قال ابن الأثير ﷺ: «والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلّة والطبع

(١) تاج العروس، للزبيدي (١٣/٣٢٦).
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٢١٢).
(٣) أساس البلاغة، للزمخشري (٢/٢٨).
(٤) كتاب العين، للخليل بن أحمد (٧/٤١٨).
(٥) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨).

المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة»[(١)].

فالفطرة إذن: هي قوة مودَعة في النفس تولَد مع الإنسان تقتضي معرفةَ الله تعالى وتوحيده، وإدراكَ المبادئ العقلية الضرورية، التي تسير حياته من خلالها بشكل صحيح بشرط عدم التأثير الخارجي الذي يحرف هذه الفطرة عن مسارها.

فلو سَلِمَ الطفلُ من المؤثرات الخارجية التي تحرفه عن فطرته سينشأ موحدًا مؤمناً بالله ﷻ، كما ثبت في الحديث السابق.

وقد أثبت العلم التجريبي صحة هذا الحديث، ففي بحث كبير تحت إشراف أساتذة في جامعة أكسفورد عمل فيه ٥٧ باحثًا، في ٢٠ دولة، على مدار ٣ سنوات، بتكلفة ١,٩ مليون جنيه استرليني، ونُشرت نتائجه سنة ٢٠١١ م، وثبت فيه أن الأطفال الصغار يولدون ولديهم فطرة الإيمان بالله وبالحياة بعد الموت[(٢)]، وقد نشرت نتائج هذا البحث أيضًا صحيفة

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٥٧).

(٢) انظر: https://www.sciencedaily.com/releases/2011/07/110714103828.htm#
وقد استفدتُ الدلالة على هذا البحث من كتاب: الإلحاد للمبتدئين، للدكتور هشام عزمي (ص ٧١).
ومن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فعليه بكتاب: «فطرية الإيمان: كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله» للدكتور جاستن باريت، وقد ترجمه وأصدره مركز دلائل.





التليغراف البريطانية[١].

𝕿 | Privacy and cookies | Jobs | Dating | Offers | Shop | Puzzles | Investor

The Telegraph

Home Video News World Sport Business Money Comment Culture Travel Life Women Fa

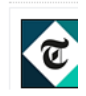
Politics | Investigations | Obits | Education | Science | Earth | Weather | Health | Royal | Celebrity | Defen

Conservatives | Liberal Democrats | Labour | Political Parties | Scottish Politics | Local Elections | General ele

HOME » NEWS » POLITICS

Belief in God is part of human nature - Oxford study

Humans are naturally predisposed to believe in gods and life after death, according to a major three-year international study.



وقد ألّف البروفسور جاستن باريت كتابه الشهير (Born Believers: The Science of Children's Religious Belief) وهذا الكتاب مبني على تجاربه العلمية خلال عشرين سنة، وقد دلّل بأدلة كثيرة جدًّا على أن الأولاد يولدون مفطورين على الإيمان بالخالق، وأن المبادئ الفطرية ـ التي أنكرها جون لوك ـ موجودة لدى الإنسان منذ ولادته.

وخلاصة كتابه في قوله: «وبغضّ النظر عن الثقافة ودون الحاجة إلى تلقين بالإكراه، ينمو الأطفال بنزعة للبحث عن معنى محيطهم وفهمه، وعند منح المجال لتطوّر عقولهم ونموّها طبيعيًا يؤدّي بهم هذا البحث إلى اعتقاد بعالَمٍ مصمّم له غاية، وأن صانعًا حكيمًا قد صمّمه، ويفترضون أن هذا الصانع المقصود كلّي القدرة، وكلّي العلم، وكلّي الإدراك، وأبدي، ولا يحتاج هذا

(١) https://www.telegraph.co.uk/news/politics/8510711/Belief-in-God-is-part-of-human-nature-Oxford-study.html

الصانع أن يكون مرئيًا أو متجسّدًا مثل البشر، ويربط الأطفال بسهولة هذا الصانع بالخير الأخلاقي وبأنّه مصدر الإلزام بالقيم الأخلاقية، وتعلّل هذه الملاحظات والاستنتاجات جزئيًّا سبب الانتشار الواسع للإيمان بالآلهة بهذه الصفات العامة عبر الثقافات وعلى مدى التاريخ»[١].

(١) فطرية الإيمان: كيف أثبتت التجارب أن الطفال يولدون مؤمنين بالله، د. جاستن باريت (ص ٢٠ ـ ٢١).

المبحث الثاني

العَقْلُ



كلمة (العقل) مشترك لفظي، يُستعمل بإزاء أربعة معانٍ: الغريزة المُدْرِكة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم[(١)]، وبيان ذلك:

❁ **المعنى الأول: الغريزة المُدْرِكة في الإنسان**[(٢)]، أي الآلة والقوة التي من خلالها يعلم الإنسان ويعقل، وهي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، فهي شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

❁ **المعنى الثاني: العلوم النظرية المكتسبة**، وهي تلك المعاني والأفكار التي تحصل بالنظر والاستدلال عبر آلة العقل، فهي ثمرة العقل بالمعنى الأول، ويتفاوت الناس في هذه الأفكار والمعاني تفاوتًا جليًا.

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن (١/١٥٨)، والدليل العقلي عند السلف، لعبدالرحمن الشهري (ص ١٩) وما بعدها.
والاختلاف في معنى العقل موجود حتى عند الفلاسفة، انظر: ثورة العقل في الفلسفة العربية، للدكتور عاطف العراقي، (ص ٧٩).

(٢) وقد نص على أن هذا هو المعنى الحقيقي للعقل الحارث المحاسبي في كتابه: مائية العقل (ص ٢٠١)، ونقل عنه هذا النص وعن الإمام أحمد كذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء التعارض (٦/٥٠)، والرد على المنطقيين (ص ١٣٦).

۞ **المعنى الثالث: العمل بموجب العلم**، ويدخل فيه صفة التروّي والرزانة ونحو ذلك، فيقال: فلان عاقل، بمعنى أنه رزين يتأمل عواقب الأمور[١]، ومنه قول الأصمعي: «العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن»[٢].

۞ **المعنى الرابع: العلوم الضرورية أو البدهيات العقلية**، وهي التي يتفق عليها جميع العقلاء، كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء وغيرها من البدهيات، وهي علوم لا تحتاج إلى دليل لإقرارها، ولو لزم كونها تحتاج لبرهان لأفضى ذلك إلى التسلسل[٣] وهو محال، وهذا داخل في معنى الفطرة كما سبق.

أما العقل بالمعنى الأول فلا يمكن اعتباره مصدرًا للمعرفة بالمعنى الدقيق، لأنه مجرد غريزة وآلة يمكننا الوصول إلى الحقائق من خلالها، ويمكن الوصول إلى الباطل كذلك من خلالها، فاستعمال هذه الآلة لا يعني إصابة الحق بالضرورة! فالمجرمون والقتلة والسُرّاق ما كان لهم أن يرتكبوا جرائمهم إلا بتخطيط وتفكير بواسطة العقل، فهل يعني ذلك أن عملهم صواب؟! أبدًا.

فالواجب علينا إذن أن نستعمل هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا وهي

(١) وهذا المعنى للعقل هو الذي تدور عليه رسالة أبي الفرج ابن الجوزي ﵀ المسماة «صولة العقل على الهوى».

(٢) المخصص، لابن سيده (٣/١٦).

(٣) جاء في موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب (ص ١٨٦): التسلسل هو: توقّف الشي على أشياء غير متناهية.

نعمة العقل (بمعنى الغريزة المدركة) بالطريقة الصحيحة حتى نصل إلى نتائج صحيحة.

فالله ﷻ نهى عن اتباع ما ليس للإنسان به علم صحيح مستند إلى فهم سليم، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كذلك القرآن دعا إلى التفكر في عددٍ كبيرٍ من الآيات، منها قوله الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وهذا حث واضح وصريح من الله ﷻ على التفكر.

كذلك الله ﷻ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فهناك أكثر من ثماني عشر آية صريحة في القرآن الكريم تدعو إلى التفكر.

كذلك القرآن الكريم ذم المجانبين للعقل المتنكبين له، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] فشر الدواب عند الله ﷻ الصم البكم الذين لا يعقلون، ويقول سبحانه: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، في أكثر من خمسين آية من القرآن

الكريم يحثنا الله ﷻ فيها على التفكر واستعمال العقل.

أما المعنى الثاني للعقل، والذي هو نتائج استعمال آلة العقل، وهو العلوم والأفكار الناتجة عن العقل، فهذه ليست كلها قطعية، بل أكثرها ظني، بل وكثير منها مخالف للصواب.

أما العقل بالمعنى الثالث فلا يدخل في مصادر المعرفة أصلًا كما هو ظاهر.

فلم يتبقَ إلا العقل بالمعنى الرابع، وهو المسلّمات العقلية المتفق عليها بين العقلاء، فالعقل بهذا المعنى مصدر أصيل من مصادر المعرفة في الإسلام.

ويدخل في هذا المعنى المبادئ العقلية الأربعة(١)، وهي:

١ ـ **مبدأ الهوية**، والذي يعني أن الشيء يبقى هو هو لا يتغير ولا يتبدل، وإن طرأت عليه تغيرات داخلية، فمثلاً: عندما أبحث عن القلم فإن القلم الذي أبحث عنه والقلم الذي سأجده هو هو، ويُعبَّر عن هذا المبدأ رياضيًا بـ أ = أ، ويسمى كذلك مبدأ الذاتية.

٢ ـ **مبدأ عدم التناقض**، وهو امتناع الجمع بين النقيضين، كأن تقول عن الشيء: إنه موجود وغير موجود في نفس الوقت، فإما أن يكون الشيء موجودًا أو غير موجود.

٣ ـ **مبدأ الثالث المرفوع**، يتلخص في أن القضيتين المتناقضتين إذا

(١) انظر: المدخل عن نظرية المعرفة، لابن عقيل الظاهري (ص ٢٩).

صدقت إحداهما كذبت الأخرى، ولا ثالث بينهما[1]، فمثلا: «زيد حي» أو «زيد ميت» هما قضيتان متناقضتان، إذا صحت الأولى كذبت الثانية والعكس بالعكس، ولا ثالث بينهما.

٤ ـ **مبدأ العِلّية، أو مبدأ السببية** الذي يعني أن كل حادث لا بد له من عِلّة وسبب ومُحدِث.

فهذه المسلمات العقلية مصدر مهم من مصادر المعرفة في الإسلام، ولن تجد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ما يعارضها أبدًا.

وسيتضح هذا الأمر أكثر فيما سيأتي في المبحث الثاني من الفصل الثالث، عند الحديث عن منهج الغلو في العقل.

فإن قيل: كيف نجيب عن تعارض بعض نصوص القرآن والسنة مع العقل؟

نقول: عرفنا مما سبق أن العقل منه ما هو قطعي، ومنه ما هو ظني، والنصوص الشرعية منها ما هو قطعي الدلالة، ومنها ما هو ظني الدلالة، فالتعامل معها يكون وفق الجدول التالي:

إذا تعارض قطعيّ نقليّ وظنّيّ عقليّ	قُدّم النّقليّ
إذا تعارض ظنّيّ نقليّ وقطعيّ عقليّ	قُدّم العقليّ
إذا تعارض ظنّيّ نقليّ وظنّيّ عقليّ	قُدّم أرجحهما بحسب المرجّحات
وأمّا تعارض قطعيّ نقليّ وقطعيّ عقليّ	فهو غير ممكن ـ كما سبق بيانه ـ.

(١) المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة (ص ٥٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما، سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو أحدهما عقليّاً والآخر سمعيّاً، وهذا متفق عليه بين العقلاء، لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة، وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر للزم الجمع بين النقيضين وهو محال"[(١)].

وقال الإمام ابن القيّم ﵀: "التقسيم الصحيح أن يقال: إذا تعارض دليلان سمعيان أو عقليان، أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين، وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا.

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة، لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعًا، فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين، وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء.

وإن كان أحدهما قطعيًا والآخر ظنيا تعيّن تقديم القطعي، سواء كان عقليًا أو سمعيًا.

وإن كانا ظنيين صرنا إلى الترجيح ووجب تقديم الراجح منهما.

وهذا تقسيم راجح متفق على مضمونه بين العقلاء، فأما إثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي مطلقا فخطأ واضح معلوم الفساد"[(٢)].

---

(١) درء تعارض العقل والنّقل (١/٧٩).

(٢) مختصر الصّواعق المرسلة (١ / ٢٤٧ – ٢٤٨)

المبحث الثالث
الحِسُّ



الحس مصدر معتبر كذلك من مصادر المعرفة في الشريعة الإسلامية، ورغم وضوح هذا الاعتبار إلا أنه قد وُجد من ينكر دلالة الحواس كالعين والسمع والبصر! فيقول: لو رأيتُ الشيء بعيني لا أؤمن بأنه موجود، وإذا لمسته بيدي لا أؤمن بأنه موجود، وهذا نوع من السفسطة وسيأتي بيانها.

والصواب أنها من مصادر المعرفة، وقد قال الله ﷻ حاثًّا لنا على الاستفادة من هذه الحواس، من خلال التفكر والاعتبار ناعيًا على الكفار: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي إن الذي لا يستفيد من حواسه للوصول إلى الحقيقة هو كالأنعام، لأنه لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه.

وقال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

فالحس والتجربة من المصادر المعتبرة للمعرفة، ولكن الإسلام أنزلها في منزلتها اللائقة بها، دون إفراط ولا تفريط، ويستدل بها على وحدانية الله تعالى، قال الإمام محمد بن جرير الطبري ﵀: «من قيلي وقيل كل

موحد[1]: إن كل محسوس أدركته حاسة خلْقٍ في الدنيا فدليل لكل مُستدل على وحدانية الله ﷻ وأسمائه، وصِفاته، وعدله، وكل دال على ذلك فهو في الدلالة عليه متفق، غير مفترق، ومؤتلف، غير مختلف»[2].

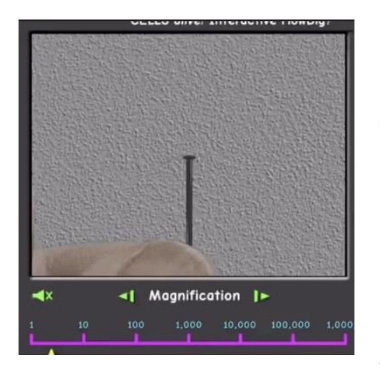
لكن مما ينبغي أن يُعلم أن الحس محدود لا يُدْرِكُ كلَّ شيء، فالسمع محدود، والبصر محدود، وكل الإدراكات البشرية محدودة، وليست مطلقة.

إذا تقرّر هذا تبين لنا خطأ من يَرُدُّ آيةً من كتاب الله تعالى أو حديثًا من أحاديث النبي ﷺ لمجرّد أنه لم يدرك مدلولها بحواسه! لأن **عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يعني عدم الوجود،** أي إنك إذا لم ترَ الشيء بعينك ولم تُدْركه بحواسِّك فلا يعني ذلك أنه غير موجود، ولا يحق لك أن تحكم بأنه غير موجود، ومثال ذلك إنكار النصوص الشرعية الواردة في عذاب القبر بحجة عدم إدراكها بالحواس!

وهنا تتضح ضرورة التكامل في مصادر المعرفة، فما لا يمكنك إدراكُه بحواسك تُدْرِكُه بالنقلِ والخبرِ الصَّادق، أو تُدركه بالعقل، ولا يَحِقُّ لَك إنكاره من الوجود.

ولنأخذ على ذلك مثالًا عمليًّا:

(١) أي: مما أقول به وأعتقده، ومما يقوله ويعتقده كل موحِّد.
(٢) التبصير في معالم الدين، لابن جرير الطبري (ص ١٣٢).



تأمل معي هذه الصورة حيث لا ترى فيها سوى مسمارٍ، فإذا جاءك خبرٌ صادقٌ من مصدرٍ موثوق أن في رأس هذا المسمار شعرة وكائنات حية متنوعة، فما هو موقفك من هذا الخبر؟

إذا كنت متبعًا للمنهج الصحيح في مصادر المعرفة فستصدّق هذا الخبر وتؤمن به، لأن هذه الكائنات التي أُخْبِرْتَ عنها لا تدخل في دائرة إدراكك الحِسِّي، وأنت تعلم أن ذلك لا يعني عدم وجودها فستصدّق الخبر الصادق الذي جاءك من الثقة العالم.

أما لو كان عندك خلل في هذه الجزئية فستُنكر وجود شيء على هذا المسمار لأنك لا ترى شيئًا!

فإذا كشف عنك ما كان غائبًا ورأيته رأيَ العين باستعمال الأجهزة المكبِّرة (كما يأتي في الصور التالية)، فستعلم حينها أنك كنت مخطئًا في إنكارك هذه الحقائق، ويتبين لك حقيقة ما أقول.





فعلينا أن نعرف قدر أنفسنا ، ومحدودية إدراكنا ، فإذا ما جاءنا الخبر من الله تعالى العليم بكل شيء ، أو من نبيه ﷺ الذي يُطلعه ربه سبحانه على ما

شاء من أمور الغيب، ثم لم نُدرك مدلول الخبر بحواسنا فلا يحق لنا عقلًا إنكاره ولا يجوز لنا شرعًا ردّه.

ومن ذلك ما ورد في حديث سجود الشمس، الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»[١].

فهذا الحديث ردَّه بعض الناس بحجة أن الكرة الأرضية دائرية، وأننا لا نرى الشمس تسجد هنا أو هناك!، فأقول جوابًا عن ذلك:

أولًا: لم يَخْفَ على المسلمين أن الأرض كروية، فعلماؤنا يقررون ذلك منذ أكثر من ألف سنة.

فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي الحسين بن المنادي (ت: ٣٣٦هـ) أنه نقل إجماع العلماء على ذلك، فقال رحمه الله: «وقال الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي من أعيان العلماء المشهورين بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد: **لا خلاف بين العلماء أن السماء على مثال الكرة**، وأنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة على قطبين ثابتين، غير متحركين: أحدها

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٩٩) ومسلم (١٥٩).

في ناحية الشمال، والآخر في ناحية الجنوب، قال: ويدل على ذلك أن الكواكب جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد في حركاتها ومقادير أجزائها إلى أن تتوسط السماء، ثم تنحدر على ذلك الترتيب كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورًا واحدًا، قال: **وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة**»[(١)].

وقال الإمام أبو محمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ) رحمه الله: «إن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم **لم ينكروا تكوير الأرض**، ولا يُحْفَظ لأحد منهم في دفعه كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها، قال الله عز وجل: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها، وهذا نص على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك وهي التي منها يكون ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها وهي آية النهار بنص القرآن قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾»[(٢)].

فغير خافٍ على علمائنا أن الأرض كروية.

ثانيًا: أن النبي ﷺ أخبرنا أن الشمس تسجد، لكنه لم يخبرنا بكيفية سجودها، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن سجود جميع المخلوقات له فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩٥/٢٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٧٨/٢).

فلا يعلم أحد كيفية هذا السجود ووقته وحقيقته إلا الله ﷻ، وهكذا سجود الشمس، لا يختلف عما ورد في الآية من قريب أو بعيد، فنؤمن به، ونكل علم كيفية السجود لله تعالى، وليس في ذلك ما يستنكر.

قال الإمام الخطابي ؒ: «لا يُنْكَر أن يكون لها استقرارٌ تحت العرش، من حيث لا نُدْرِكه ولا نشاهده، وإنما هو خبر عن غيب، فلا نُكذِّب به، ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به»[1].

ثالثًا: لا يلزم من سجود الشمس أن يكون سجودها كسجود الآدميين، وهو إلصاق الجبهة بالأرض، كما أن سجودها متحقق بخضوعها لخالقها وانقيادها لأمره، وهذا هو السجود العام لكل شيء خلقه الله كما في آية الحج السابقة إذ كل شيءٍ من خَلْقِ الله تعالى يسجد له ويسبّح بحمده.

رابعًا: لا يلزم من سجود الشمس أن يتوقف جريانها، بخلاف الآدميين، قال الحافظ ابن حجر ؒ: «وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها، قلت: وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم»[2].

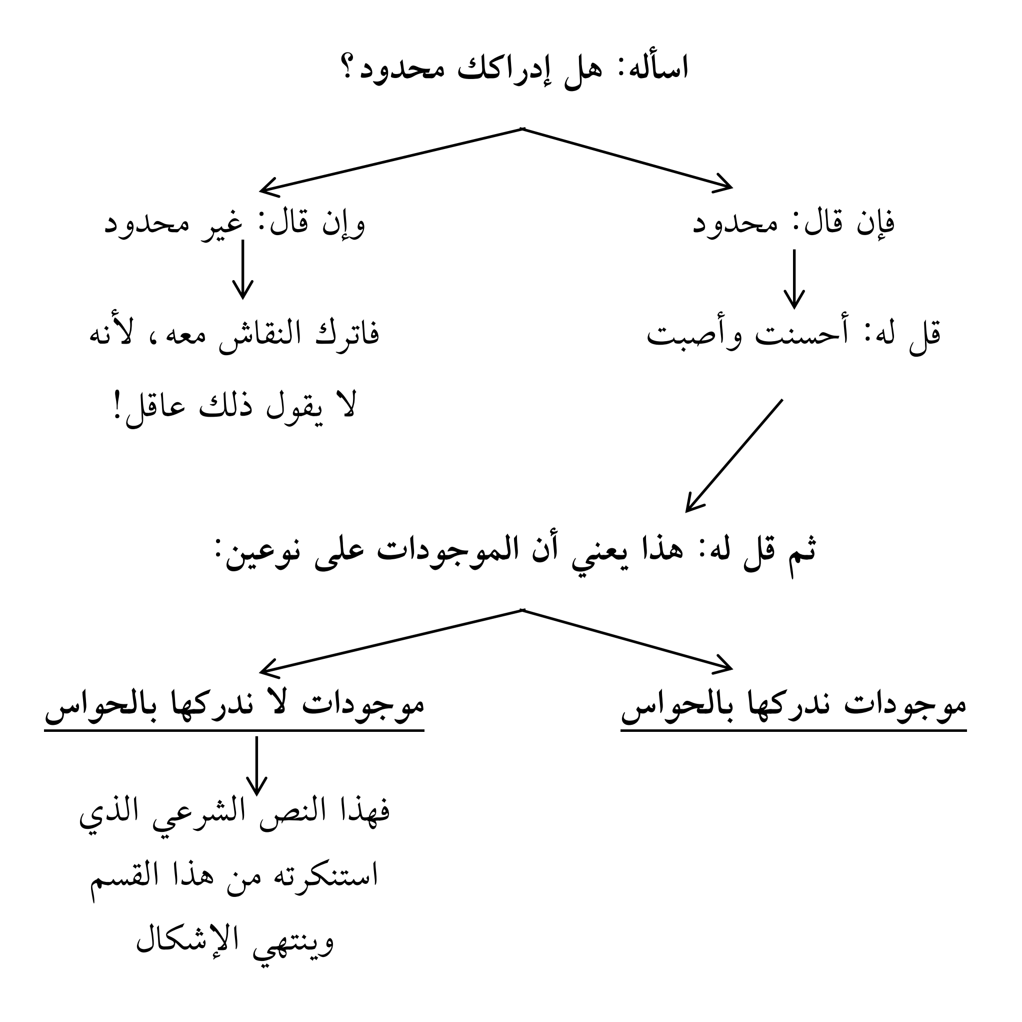
فالسجود عبادة، والله قد تَعَبَّد مخلوقاته بما يناسب هيئاتها وصفاتها وطبائعها، فكان الانحناء والنزول للآدميين، وكان غير ذلك من كيفيات السجود لسائر الكائنات والمخلوقات مع اشتراكهما في عموم معنى السجود

(١) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، للخطابي (١٨٩٣/٣).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (٥٤٢/٨).

الذي هو الخضوع لله تعالى طوعًا أو كرهًا.

إذا تقرر هذا زال الإشكال حول هذا الحديث بحمد الله تعالى.

وبه يزول الإشكال أيضًا عن غيره من الأحاديث التي لا يُستدل على مضامينها بالحس البشري المحدود، فإذا وقفتَ على من يَرُدُّ شيئًا من ذلك فاسلك معه الخريطة الجدلية التالية:



المبحث الرابع
الخَبَرُ



الخبر الذي يسمعه الإنسان ويعلم من خلاله وقوع شيءٍ ما أو حصول شيءٍ ما هو مصدر أصيل من مصادر المعرفة، ولا ينكر ذلك إلا مكابر؛ فإننا في حياتنا اليومية نتعامل مع الخبر كمصدر معرفي مهم، فالخبر يفيدنا علمًا بما هو غائب عن حواسنا كما سبق بيانه، وبما لا يمكن إدراكه بعقولنا.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله معددًا أنواع المعلومات: «وقسم لا يعلمه البتة، إلا أن يُعلم به أو يجعل له طريق إلى العلم به، وذلك كعلم المغيبات عنه، كانت من قبيل ما يعتاد علم العبد به أو لا، كعلمه بما تحت رجليه، إلا أنه مغيب عنه تحت الأرض بمقدار شبر، وعلمه بالبلد القاصي عنه الذي لم يتقدم له به عهد فضلاً عن علمه بما في السماوات وما في البحار وما في الجنة أو النار على التفصيل، فعلمه لما لم يجعل له عليه دليل غير ممكن»[(١)].

لكن المعتبر في الإسلام هو الخبر الصحيح، وليس كل خبر بطبيعة الحال يكون مصدرًا من مصادر المعرفة.

ويندرج تحت ذلك الوحي الإلهي، والمقصود به هنا ما يوحي به الله إلى أنبيائه ورسله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩]،

(١) الاعتصام، للشاطبي (٣/٢٨٣).

وهو الوسيلة التي أبلغ الله بها رسالته لرسله وأمرهم بتبليغها للناس، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

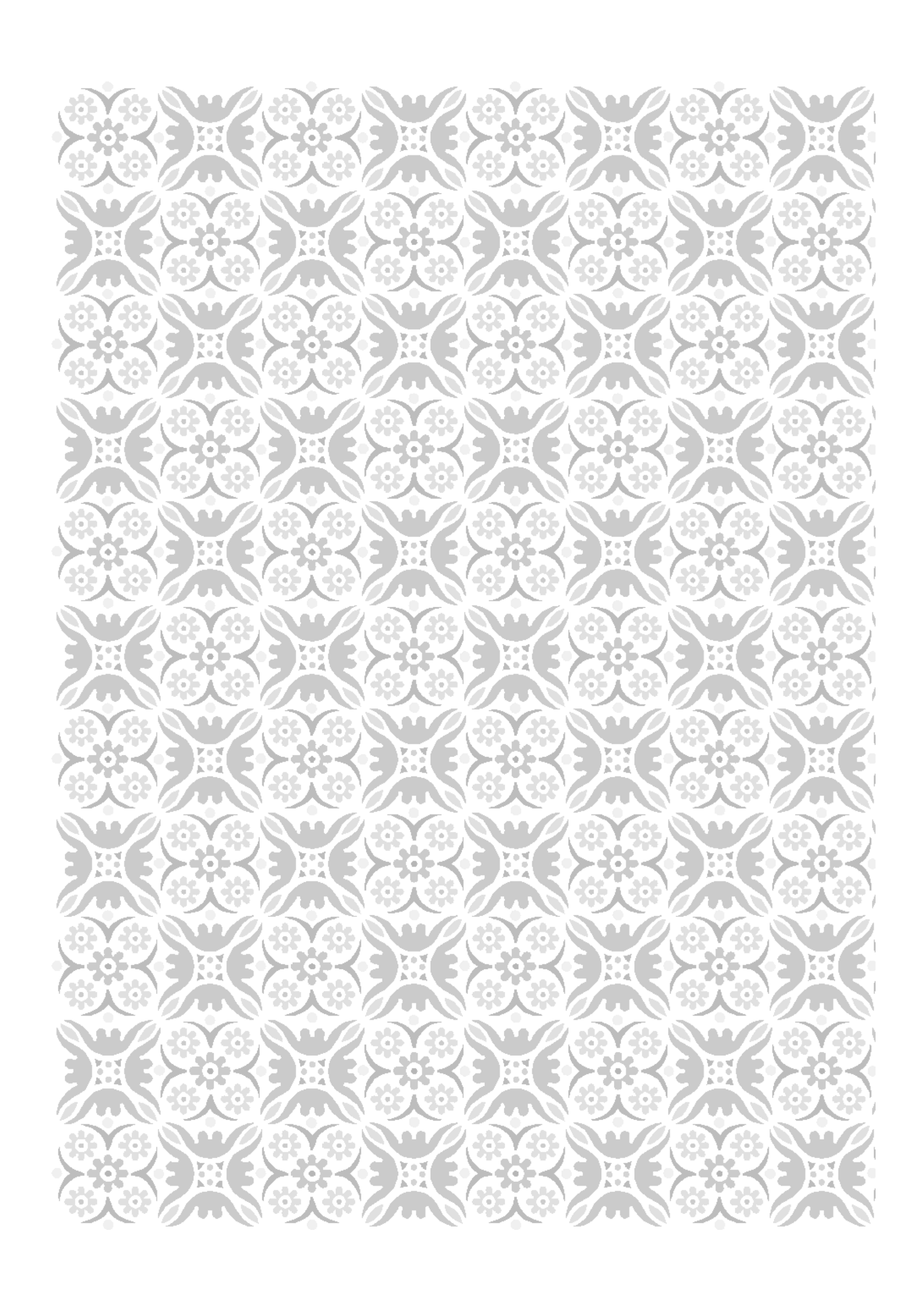
وإذا تجاوز الإنسان مرحلة الشك وآمن بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته، وآمن بنبوة محمد ﷺ فلا إشكال في اعتبار الوحي الإلهي في أعلى درجات مصادر المعرفة عنده.



الفَصْلُ الثَّالِثُ

المَنَاهِجِ المُؤسِّسةُ لِلشُّبُهَاتِ







عرفنا في الفصل السابق مصادر المعرفة، والتي لا يمكن للمعرفة أن تكون صحيحة بدون مراعاتها.

ومما ينبغي أن يُعلم أنه قد حصل نوع من الانحراف والشطط في هذه المصادر على مر التاريخ، فمن الناس من أنكر إمكانية الوصول إلى الحقيقة بيقين، وجعل الحقائق نسبية وهم السفسطائية، ومنهم من غلا في العقل وأنزله في غير منزلته الصحيحة، ومنهم من غلا في الحس والتجربة وأنزلها كذلك في غير منزلتها الصحيحة، وقد تشكلت من هذه الانحرافات اتجاهات ومناهج فتحت الباب على مصراعيه للزيغ والانحراف عن النهج القويم والطريق المستقيم، فأصبحت مناهج مؤسِّسة للشبهات، فإذا ما تبين بطلان هذه المناهج وسُدّت أبوابها فلن يلج منها على الأفراد والجماعات زيغ ولا شبهات.

وهذه المناهج هي: المنهج السفسطائي، ومنهج الغلو في العقل، والمنهج العلموي، ومنهج تقسيم المسلمين إلى إسلاميين وغير إسلاميين.

وفي هذا الفصل سنضع هذه المناهج تحت المجهر لنبحث عن صحتها وحقيقتها.

المبحث الأول
المَنْهَجُ السفْسَطَائِيّ



العقلاء يقولون: يمكن أن نصل إلى الحقيقة بيقين.

وهناك مجموعة من الناس يرون أن الحقيقة نسبية ولا يمكن الوصول إلى الحقيقة بيقين! ويُسمى هؤلاء قديمًا بالسوفسطائيين[(١)] ـ وعلى رأسهم كبيرهم الفيلسوف بروتاغوراس[(٢)] ـ وقد ظهروا في اليونان ما بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد.

(١) يذكر الدكتور الطيب بوعزة في كتابه: «دفاعًا عن السوفسطائيين» أنه لا يوجد مذهب يسمى: (السوفسطائية) ونقد الصورة الشائعة عن السوفسطائي بأنه ذلك الرجل الشكّاك المتلاعب بالألفاظ.

قلت: لا مشاحة في الاصطلاح، فإن هذا النهج في التفكير القائم على نسبية الحقيقة موجود، سواء سميناه السوفسطائية أو لم نسمه، مع أن الشائع عند الكتاب المسلمين وغيرهم تسميتهم بهذا الاسم.

(٢) بروتاغوراس (٤٨٠ ق م ـ ٤١٠ ق م) فيلسوف يوناني ولد في أبديرا، وطاف أنحاء إيطاليا الجنوبية واليونان يلقي فيها الخطب، ثم قدم أثينا ولم تطل إقامته فيها، لأنه كان قد نشر كتابًا سماه «الحقيقة» وردت فيه هذه العبارة: (لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين، فإن أمورا كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة) فاتهم بالإلحاد، وحُكِم عليه بالإعدام، وأُحرقت كتبه علنا ففر هاربًا، ومات غرقا في أثناء فراره، ومن عباراته الشهيرة: الإنسان مقياس الأشياء جميعًا.

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، تعليق: د. مصطفى النشار (ص ٧٨ ـ ٧٩).

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: «هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا[(١)]: زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «حكي عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات، ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى، بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد، **وجعل الحقائق تابعة للعقائد**، وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل، وإنما هو من جنس ما يحكى أن السوفسطائية أنكروا الحقائق ولم يثبتوا حقيقة ولا علما بحقيقة»[(٣)].

ويقول الدكتور علي سامي النشار: «نسبية كل شيء قال بها بروتاغوراس السوفسطائي حين أراد أن ينقد أصول المعرفة «إن الإنسان هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس وجود ما لا يوجد» ثم أخذ بهذا الشُكاك بعد، فطبقوها على الحد كما طبقوها على نواحي العلم كله، فلم تعد حقيقة من حقائق العلم ثابتة أو مستقرة، بل كل شيء ـ كما يقول هرقليطس ـ في تغير مستمر»[(٤)].

(١) وقيل في معنى السفسطة: الحكمة المموهة، انظر: مقدمة تحقيق تلخيص السفسطة لأبي الوليد ابن رشد (ص ج)، وانظر: السفسطائية وأثرها في مدارس الشك، للدكتور عبدالرحمن عواجي (ص ٢٣)، والمعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة (ص ٩٧).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٢/٢٨٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/١٣٥).

(٤) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، للدكتور علي سامي النشار (ص ١٩١).

وهؤلاء الذين يرون أنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة واليقين وأنهما غير موجودين، ينقسمون ثلاثة أقسام:

١ ـ **اللاأدرية**؛ سموا بذلك لأنهم يقولون: نحن لا ندري، ولا نعرف ثبوت شيء من الموجودات ولا انتفاءه بل نحن متوقفون في ذلك.

٢ ـ **العنادية**، نسبة إلى العناد؛ لأنهم عاندوا فنفوا الحقائق مطلقًا.

٣ ـ **العندية**، نسبة إلى لفظ «عند»؛ لأنهم يقولون: أحكام الأشياء تابعة لاعتقادات الناس، فكل من اعتقد شيئاً فهو في الحقيقة كما هو عنده وفي اعتقاده[(١)].

وقد رد عليهم جميعًا أبو محمد ابن حزم ﵀ حيث قال ردًّا **على العنادية**: «يكفي من الرد عليهم أن يقال: قولكم إنه لا حقيقة للأشياء، أحقٌّ هو أم باطل؟

فإن قالوا: هو حق، أثبتوا حقيقة ما.

وإن قالوا: ليس هو حقاً؛ أقروا ببطلان قولهم وكفوا خصومهم أمرهم»[(٢)].

وقال ردًّا **على اللاأدرية**: «ويقال للشكاك منهم وبالله تعالى التوفيق: أشككم موجود صحيح منكم؟ أم غير صحيح ولا موجود؟

فإن قالوا: هو موجود صحيح منا؛ أثبتوا أيضاً حقيقة ما.

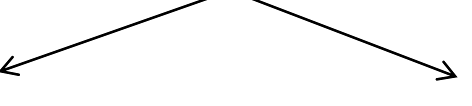
(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (١/١٧٢).
(٢) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (١/١٧٤).

وإن قالوا: هو غير موجود؛ نفوا الشك وأبطلوه، وفي إبطال الشك إثبات الحقائق أو القطع على إبطالها»[١].

وقال ردًا **على العندية** وهم أصحاب الحقيقة النسبية: «إن الشيء لا يكون حقاً باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل، وإنما يكون الشيء حقاً بكونه موجوداً ثابتاً، سواءً اعتُقِد أنه حق أو اعتُقِد أنه باطل، ولو كان غير هذا لكان الشيء معدوماً موجوداً في حال واحدة في ذاتها، وهذا عين المحال»[٢].

وهذه خريطة جدلية توضح ردود الإمام ابن حزم ﵀ على طوائف السفسطائية:

الرد على العنادية أن يُقال لهم: قولكم (لا حقيقة للأشياء) حق أم باطل؟



فإن قالوا: حق	وإن قالوا: باطل
فقد أثبتوا حقيقة ما وناقضوا أنفسهم	قد أقروا ببطلان قولهم وكفونا المؤنة

(١) المصدر السابق (١/١٧٤).

(٢) المصدر السابق (١/١٧٤).

الرد على اللاأدرية أن يُقال لهم: شكّكم موجود صحيح أم لا؟

فإن قالوا: موجود صحيح	وإن قالوا: غير موجود
أثبتوا حقيقة ما	فقد نفوا الشك وأبطلوه

ومن الطرائف التي تروى عنهم أن أحد كبار السفسطائية واسمه بيرون، كان يشك في كل شيء، ويسمونه بيرون الشكاك، فيروى أنه مرة كان يعبر الطريق فرأى عربة من بعيد يجرها حصان تقترب منه، فنظر إليها وهو يقول: هذه تشبه العربة، لكن كيف يتسنى لي أن أتأكد أن حواسي لا تخدعني؟ وبينما هو كذلك أتت العربة ودهسته هو وتفكيره وسقط أرضاً![1].

ويُخشى على من يسلك هذا المنهج في التفكير أن يصل به الحال إلى العدمية! وهي موقف يرى أن العالم كله بما في ذلك وجود الإنسان، عديم القيمة وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي، فهو مذهب ينفي وجود أية حقيقة أخلاقية، وأيّة هيكليّة للقيم[2].

قال الدكتور عبدالرزاق بلعقروز: «فثمة صلة واصلة بين النسبية المعرفية وذيوع العدمية في المُمارسات الأخلاقية، فمن لا يؤسس لمنظومة سلوكه بناء على رؤية معرفية كلية ونهائية تحدد المنطلقات والمقاصد، وفيها من

(١) السفسطائية وأثرها في مدارس الشك، للدكتور عبدالرحمن عواجي (ص ٨٨ ـ ٨٩).

(٢) انظر: موسوعة أندريه لالاند الفلسفية، (ص ٨٧١).

الثبات نصيب، فإن المُمارسات السُّلوكية سيكون مآلها فقدان القيمة واستجابتها للواحق والمتغيرات النفسية والفيزيولوجية والاجتماعية الفاقدة للوحدة الفكرية والسلوكية، لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بفعل جاذبية الأرض»[(١)].

فنسبية الحقيقة إشكالية كبيرة؛ لأن عدم وجود أرضية مشتركة بين الناس تقوم عليها ساق الحقائق يؤذن بهلاك البشرية، فلا يمكن لأحد أن يمنع أحدًا عن خطأ أو يرده عن غي! لأن الأمور نسبية، وما هو خطأ عندك لا يعني أنه خطأ عندي! ولا تسأل بعد ذلك عن المشاكل والكوارث.

لكن لا ينبغي اليأس من معالجة هذا الفكر، وقد نقل ابن الجوزي عن ابن عقيل الحنبلي رحمهما الله: «إن أقواما قالوا كيف نكلم هؤلاء؟ وغاية ما يمكن المجادلة أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟!

قال: وهذا كَلامُ ضَيِّقِ العَطَن[(٢)]، ولا ينبغي أن يُوئَسَ[(٣)] من معالجة هؤلاء، فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم، فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج، وما مَثَلنا ومَثَلُهم إلا كَرَجل رُزِق ولدًا أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين حتى إنه لم يشك أن في السماء قمرين، فقال له أبوه: القمر واحد وإنما السوء في عينيك

(١) أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي، للدكتور عبدالرزاق بلعقروز (ص ٨٣).
(٢) أي: قليل الصبر ضيّق الصدر.
(٣) أي: نيأس.

غض عينك الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قمرًا واحدًا لأني غطيت إحدى عيني فغاب أحدهما، فجاء من هذا القول شبهة ثانية فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغط الصحيحة ففعل فرأى قمرين فعلم صحة ما قال أبوه»[1].

(١) تلبيس إبليس (١/٢٩١ ـ ٢٩٢).



المبحث الثاني
مَنْهَجُ الغُلُوِّ فِي العَقْلِ

كثيرًا ما سمعنا تشغيبًا على النصوص الشرعية بأنها تتعارض مع العقل! وهذا فيه تدليس، لأنهم جعلوا العقل بمعنى واحد! وهذا خطأ؛ لأننا عرفنا في الفصل السابق أن العقل له أربعة معانٍ.

قال الأستاذ عبدالجليل الكور: «مما يلاحظ بهذا الصدد، هو أن كثيراً من الذين يَدّعون الاستناد إلى العقل لا يُكلّفون أنفسهم تحديد مقصودهم به! أو تبيان الشروط المحددة لاستعمالهم إياه، فتراهم يرسلون الكلام بأن العقل يُثْبِتْ، والعقل لا يَقبل، والعقل يُوجب، بل إن منهم من لا يكاد ينظر إلى العقل إلا في تعارضه مع النقل»[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن في مفهوم العقل غموضًا كثيرًا عند العلمانيين ومن يسمون أنفسهم عقلانيين! لذلك قال أحد كبار منظّري العلمانية العرب، وهو د. عادل ضاهر: «إن مفهوم العقل ذاته ما زال يحتاج إلى الكثير من التوضيح، واللافت للنظر أن غموض هذه الأطروحة، بل وغموض مفهوم العقل ذاته، ليس نصيب عقولنا منه أكثر بكثير من نصيب عقول رصفائنا في الغرب، على الرغم من عمق تأصّل الاتجاهات العقلية في الغرب وسيطرتها

(١) لماذا لست ملحدًا، لعبدالجليل الكور، (ص ٢٥).

شبه الكاملة على شؤون الحياة، فما زال الخلاف قائمًا في الغرب حول معنى العقل، وما إذا كان للعقل وظيفة معيارية أم أن وظيفته، باعتباره عقلاً عمليًا، محصورة في تحديد الوسائل القمينة[(١)] بتحقيق غايات متفق عليها مسبقًا، وحتى أطروحة أولية العقل، التي قال بها مفكرو عصر التنوير وأصبحت من المصادر الأساسية للفكر الغربي على مدى قرون، هي الآن موضع سؤال من قبل مفكرين كجاك دريدا وريتشارد رورتي، اللذين سبقهما إلى وضعها موضع سؤال فلاسفة كبرغسون، وهوسرل، وهيدجر، وسواهم من فلاسفة التأويل، والفلاسفة الوجوديين، وفلاسفة ما بعد الحداثة»[(٢)].

فإطلاق كلمة العقل دون تمييز بين معانيه المشتركة فيه تدليس وخلط!.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «إذا قيل ما حد العقل؟ فلا تطمع في أن تحده بحد واحد، فإنه هَوَس، لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معان، إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية، ويطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة حتى إن من لم تحنكه التجارب بهذا الاعتبار لا يسمى عاقلا، ويطلق على من له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه وهو عبارة عن الهدوء فيقال: فلان عاقل أي في هدوء، وقد يطلق على من جمع العمل إلى العلم حتى أن المفسد وإن كان في غاية من الكياسة يمنع عن تسميته عاقلا»[(٣)].

(١) أي: الجديرة.
(٢) أولية العقل، لعادل ضاهر (ص ١٨).
(٣) المستصفى، للغزالي (١/٦٤).

لذلك قبل أن نناقش أحدًا من أصحاب هذا المنهج إذا أبدى معارضة العقل للشرع يجب أن نسأله سؤالًا: ما مقصودك بالعقل هنا؟

❋ فإن كنت تقصد بالعقل **البدهيات العقلية**، فهذا لا يتعارض مع الشرع بحمد الله، ولا يوجد في شرع الله ما يخالفه البتة، إذ لا يوجد في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ شيء من المحالات العقلية أبدًا.

وهذا أمر مشهور معروف عند علماء الإسلام، فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: «يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ونحن نعلم أنَّ الرُّسل لا يُخبِرون بمحالات العقول، بل بمُحارات العقول، فلا يُخبِرون بما يَعلمُ العقل انتفاءَه، بل يُخبِرون بما يَعجِز العقلُ عن معرفته»[2].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: «ألا ترى أنه لو اجتمع خلق من الثقات فأخبروا أن الجمل قد دخل في سم الخياط لما نفعتنا ثقتهم ولا أثرت في خبرهم، لأنهم أخبروا المستحيل، **فكل حديث رأيته يخالف المعقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع فلا تتكلف اعتباره**»[3].

والمقصود بمخالفة المعقول أي البدهيات العقلية، **وليس ظنون الظانين ولا تخرصات الخارصين**.

(١) الرسالة للشافعي (ص ٣٩٩).
(٢) درء التعارض (١/١٤٧).
(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٥٠).

❋ أما إن كان المقصود **الغريزة المُدرِكة**، فهذا سُخف!، لأنها لا تُتصور معارضتها للنصوص الشرعية أصلًا «لأن تلك الغريزة ليست علمًا يُتصور أن يعارض العقل، وهي شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياة، وما كان شرطًا في الشيء امتنع أن يكون منافيًا له»(١).

❋ أما إن كان المقصود به **العلوم المكتسبة**، كالظنون ونحوها ـ وهذا مقصودهم غالبًا ـ فهذه ليست قطعية، وإنما هي ظنية، فنتائجها ليست حقًّا بالضرورة، كما سبق بيانه.

وبناء على ذلك فلا يمكن معارضتها بنصوص القرآن والسنة، لأسباب:

١ ـ أن هذه العلوم المكتسبة هي نتيجة العقل بمعنى الغريزة المدركة، والعقل بهذا المعنى كغيره من الحواس الإنسانية من السمع والبصر، لها حدود لا تتجاوزها وأقدار لا تتخطاها، فالعقل لا يمكنه إدراك كل شيء.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «اعلم أن الله جعل للعقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون»(٢).

٢ ـ أن العلوم المكتسبة الناتجة عن آلة العقل من المحتمل جدًا أن

(١) درء تعارض، لابن تيمية (١/٨٨).
(٢) الاعتصام للشاطبي (٣/٢٨٢) ط. دار ابن الجوزي.

تكون مغلوطةً مضللة، لأن آلة العقل قابلة للخداع والتحكم والتضليل!.

وهذا ما يستغله بعض السياسيين لخداع شعوبهم وتضليلهم، كما قال آل غور[(١)]: «هناك بنى عقلية أخرى تحكم المشاعر والانفعالات، ولها تأثير على صنع القرار أكبر من تأثير العقل والمنطق، إضافة إلى ذلك فإن قوة تأثير الانفعالات على العقل أشد من تأثير العقل على الانفعالات، ولا سيما انفعال الخوف، وقد بلغ تشارلز تابر ـ أحد علماء جامعة ستوني بروك ـ حد القول إن «نموذج العقل المتجرد من العواطف ـ الذي وُضع في عصر التنوير الأوروبي بوصفه واجبًا من واجبات المواطنة ـ هو نموذج مفلس من الناحية التجريبية»[(٢)].

٣ ـ هناك قاعدة عقلية مهمة تنص على أن **عدم العلم ليس علمًا بالعدم**، أي أن عدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في نفسها، «فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ هو ثابت في نفس الأمر، سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه.

ومن أرسله الله تعالى إلى الناس فهو رسوله، سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا، وما أخبر به فهو حق، وإن لم يصدقه الناس، وما أمر به عن الله فالله أمر به وإن لم يطعه الناس، فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق

---

(١) ألبرت أرنولد "آل" غور الابن (بالإنجليزية: Albert Arnold "Al" Gore, Jr)؛ (ولد سنة ١٩٤٨م) هو نائب رئيس الولايات المتحدة الخامس والأربعين في عهد الرئيس بيل كلينتون في الفترة بين عام ١٩٩٣ وحتى عام ٢٠٠١، وكان مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة وخسر الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة سنة ٢٠٠٠م.

(٢) هجوم على العقل، آل غور (ص ٥٠).

الرسول، وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر: ليس موقوفاً على وجودنا، فضلاً عن أن يكون موقوفاً على عقولنا، أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا.

وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الأسماء والصفات ثابت في نفس الأمر، سواء علمناه أو لم نعلمه»[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/٨٨).

المبحث الثالث
المَنْهَجُ العِلْمَوِيّ



المنهج العلموي أو النزعة العلموية (Scientism) هو الاتجاه الفكري الذي يقرر بأن العلم التجريبي يمكنه أن يحقق كل ما يحتاجه الإنسان، وبأنه لا طريق للمعرفة إلا بالعلم التجريبي فقط، وأنه لا وجود لشيء لا يمكن إدراكه عن طريق التجريب.

فالنزعة العلموية ليست قضية معرفية فقط، وإنما هي مع ذلك قضية وجودية، فهي إذن حقيقة مركبة من أمرين:

الأول: دعوى أن العلم يمكن أن يعرف كل ما يهم الإنسان، وحصر طرق المعرفة الإنسانية في طريق واحد فقط.

والثاني: حصر الموجودات في الأمور التي يمكن للعلم التجريبي أن يدرسها ويتحقق منها[١].

وجاء تعريف هذه النزعة في المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية على النحو الآتي: «اتجاه يرمي إلى رد كل شيء إلى العلم واعتباره قيمة حقيقية مطلقة، فهو لا يسلم إلا بالمنهج والحقائق العلمية، ولا يستمسك

(١) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، للدكتور سلطان العميري (١/٤٣١).

به بوجه خاص إلا أنصار العلوم الكيميائية والطبيعية»[١].

فهذا المنهج يُلغي الخبر كمصدر من مصادر المعرفة، كما أنه يُلغي الفطرة، ويُلغي العقل كذلك كمصدر من مصادر المعرفة، ولا يؤمن إلا بما يُرى ويُحس ويُشاهد.

وقد بُنيت هذه النزعة في الأساس على المنهج التجريبي، الذي بدوره له أصوله الفكرية القديمة عند فلاسفة الإغريق، وقد نوقش من قِبل مشاهير الفلاسفة في ذلك الوقت، مثل: أرسطو وأفلاطون.

لكن تجلى هذا المنهج واتضح في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، من خلال مجموعة من الفلاسفة، بدءًا من فرانسيس بيكون[٢]، مرورًا بجون لوك[٣]، ....

(١) المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية (ص ٢٠٠).

(٢) فرانسيس بيكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م) فيلسوف إنجليزي، ولد في لندن ودرس في كلية الثالوث في جامعة كمبردج ثم تركها بعد ثلاث سنوات ساخطًا عليها، وقد أحسن إليه أحد الوجهاء وهو إيريل أسيكس فأهداه ضيعة كاملة في توكينهام، ولكن الزمان قد دار بعد ذلك فترافع ضد صديقه المحسن إليه في إحدى المحاكم مما أدّى إلى إعدامه! ففقد بيكون شعبيته فترة من الزمن بسبب ذلك، وقد تراكمت عليه الديون بعد ذلك بسبب بذخه فألقي القبض عليه سنة ١٥٩٨م.

وهو صاحب العبارة الشهيرة: «قليل من الفلسفة يقترب بعقل الإنسان من الإلحاد، أما التعمق فيها فيزيده إيمانًا».

انظر: قصة الفلسفة، لويل ديورانت (ص ٧٠ ـ ٨٦).

(٣) جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م) فيلسوف انجليزي وُلِد في قرية سومرست، ودرس في أوكسفورد، وهرب من البلاد في أواخر صيف عام ١٦٨٣م وكان قد تجاوَزَ الخمسين،=

وانتهاءً بديفيد هيوم[1]، هؤلاء الثلاثة هم مَنْ وضع أُسس هذا المنهج، على تفاوت فيما بينهم.

ويُقال: إن جون لوك هو أول مَنْ خصَّص كتابًا في قضية المنهج التجريبي وهو كتاب (مقال في الفهم البشري) الذي نُشر سنة ١٦٩٠م.

المطلب الأول: أسباب ظهور النزعة العلموية

هذه النزعة هي نتيجة لتداعيات وأفكار واعتمالات كثيرة حصلت خلال القرون الماضية أدّت إلى تشكّلها وظهورها بشكل جلي، من أهمها:

١ ـ ظهور الاكتشافات العلمية المبهرة، التي بدأت من القرن الثامن عشر وتعاظمت في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي غيَّرت حياة الناس

= ولم يكن قد نُشِر له بعدُ أيٌّ من أعماله المهمة، ووافتْه المنية في المنزل الريفي لأصدقائه آل ماشام في أوتس بمدينة إسكس.
انظر: جون لوك: مقدمة قصيرة جدًّا، تأليف: جون دَن، ترجمة: فايقة جرجس حنا.

(١) ديفيد هيوم (١٧١١ ـ ١٧٧٦م)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي، ولد في مدينة أدنبرة باسكتلندا، تأثر جدًا بالتجريبيين مثل جون لوك، وأُعجب جداً بالعلم الطبيعي النيوتوني لأنه نجح في تفسير حركة الأجسام الأرضية والسماوية بقليل من المبادئ العامة والكلية، وهذا ما جعله يحاول دراسة الطبيعة الإنسانية بنفس الأسلوب الذي درس به نيوتن الطبيعة الفيزيائية، هادفاً التوصل إلى أهم القوانين والمبادئ التي تحكم الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، الأخلاقي والمعرفي والسياسي والاقتصادي. وكان هيوم ينظر إلى المنهج التجريبي على أنه هو المنهج العلمي، وأن الدراسة العلمية للطبيعة البشرية هي دراسة من منطلق المنهج التجريبي.
انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، (ص ١٨١).

بشكل جذري، فقد برز في القرن التاسع عشر ثورة علمية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، بحيث يمكننا أن نضع هذا القرن إلى يومنا هذا في كفة، والتاريخ الإنساني كله في كفة أخرى فيما يتعلق بالعلوم والاكتشافات العلمية، حتى وصلنا إلى هذا العصر الذي نعيشه، ولا أبالغ إذا قلت: إن كل ما تقع عليه عين الإنسان اليوم هو عبارة عن اختراع إنساني، حتى غدت حياة الإنسان في رفاهية، قد تفوق حياة الملوك قديمًا، في وسائل النقل، وغيرها.

فصار عند الناس بسبب هذه الاكتشافات حالة من الانبهار سلبت عقولهم، رغم أن هذه الثورة العلمية والصناعية لا تخلو من سلبيات اجتماعية وبيئية وصحية كثيرة[1]، لكنهم أُعجبوا بها وبالعلماء الذين غيَّروا حياتهم إعجابًا تعدى حدّه، فصار الناس أشبه بالطفل الذي يرى والده يفعل أشياء لا يستطيع هو أن يفعلها، فاعتقد أن أباه يستطيع أن يفعل كل شيء!

٢ ـ الكنيسة، وما يُسمى برجال الدين، أو الإكليروس[2]، فالكنيسة كانت ـ كما لا يخفى على المُطلعين ـ تُضايق العلماء والمكتشفين والمخترعين، وقد تتهمهم بالهرطقة إذا خرجوا قيد أنملة عما تقوله، وقد تصل عقوبة ذلك إلى الإعدام، وذلك لأن الكنيسة ظنت أن هذا التيار العلمي الجديد سيسحب البساط من تحتها، بساط الهيمنة على عقول الناس، فصار هناك كفاح مرير ـ على حد تعبير محمد أسد ـ بين عبقرية أوروبا وروح

(١) انظر: تاريخ القرن التاسع عشر، لمحمد قاسم وحسين حسني (ص ١٤٨).

(٢) الإكليروس: هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنيسة، الذي يترتب فيه رجال الدين النصارى وفق رتب معينة.

الكنيسة[١]، مع العلم أن كثيرًا مما تؤمن به الكنيسة في تلك الفترة لم يكن موروثًا من المسيح ﷺ، وإنما هو خليط من الأساطير والخرافات في الغالب.

٣ ـ التحالف الآثم الذي نشأ بين ملوك أوروبا مع الكنيسة، فأصبحت الكنيسة تبرر لهؤلاء الملوك أفعالهم، وتوزع عليهم صكوك الرحمة، مقابل خدمة الكنيسة والقيام بالحملات الصليبية، ومن أمثلة ذلك خروج ثلاثة من ملوك أوروبا بأنفسهم في الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٨٩م، وهم ملوك ألمانيا وفرنسا وإنجلترا[٢].

يقول الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور متحدثًا عن الملك الأوربي أوتو: «وقد لجأ أوتو الأول بحكم اتجاهه نحو الاعتماد على الكنيسة ورجالها إلى التوسع في منح الأساقفة ومقدمي الأديرة الإقطاعات الكبيرة، كما نصب نفسه حاميًا للكنيسة وأملاكها، وسرعان ما أصبح كبار رجال الدين في ألمانيا على درجة واسعة من النفوذ والسلطان، كما أخذوا يباشرون سلطات واسعة في النواحي القضائية والمالية والإدارية»[٣].

ويقول ويل ديورانت: «ساند ملوك أوروبا الكنيسة في القرون الأولى من نشأتها، وقد سلبتهم الكنيسة كل الحقوق تدريجيًا، فزادت ثرواتها وأصبح النفوذ الكنسي هو الأقوى على مستوى أوروبا كلها، وامتلأت خزائن الكنائس بالتبرعات والهبات التي قدمها لها التجار وأصحاب الثروات، وهكذا استطاعت الكنيسة السيطرة على أوروبا ألف عام وذلك بفضل دستورها

(١) الإسلام على مفترق طرق، لمحمد أسد (ليوبولد فايس)، ترجمة: عمر فروخ، (ص ٤٠).
(٢) انظر: تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، (ص ١٤٨).
(٣) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، (ص ٢٥٦).

وعقيدتها الموحدة، ولم يمر بالعالم ـ ولن يمر به ـ مثل ذلك التوحد الفريد.

وقد أحاطت الكنيسة بالعقل الأوربي بطريقة محكمة تشبه إحاطة الصدفة بالحيوان البحري، وهكذا تقيدت الحركة الفلسفية بقيود العقيدة المسيحية، فهناك افتراضات ومسلمات لا يجب تجاوزها أو التخلي عنها، لكن في القرن الثالث عشر الميلادي تنبه العالم المسيحي لما ترجمه العرب واليهود من فلسفة أرسطو، وكانت الكنيسة لا تزال قوية، فاستطاعت تحويل فلسفة أرسطو إلى فلسفة دينية مناسبة للقرون الوسطى»(١).

فبهذه الأسباب مجتمعة وغيرها انفجرت الثورات، ومنها الثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩م، والتي تُعتبر نقطة التحول الكبرى في حياة الناس في أوروبا، ففيها أُلغيت سلطة الكنيسة وسطوتها الجاثمة على الصدور، رغم دموية هذه الثورة وبشاعتها، إلا أنها أشعلت فتيل الثورات في أوروبا كلها.

ثم دخلت بريطانيا في القرن التاسع عشر بما يُسمى بالعصر الفيكتوري، والذي يعتبر العلم والتجربة من أبرز سماته.

(١) قصة الفلسفة، ويل ديورانت، (ص ص ٦٩).

المطلب الثاني: الإشكالات الفكرية في المنهج العلموي

أفرزت هذه النزعة جملةً من النتائج الفكرية والإشكالات المعرفية، التي أسّست بدورها للعديد من الشبهات التي لا يزال بعض الناس متأثرًا بها مع الأسف الشديد، وهذه الإشكالات يجب بحثها على طاولة العقل الصريح والنظر الصحيح، ومنها:

أولًا: توهم البشر أنهم أصبحوا في غنى عن الله ﷻ!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] أي أن الإنسان ليتجاوز حده، ويستكبر على ربه، فيكفر به، إذا رأى نفسه استغنت[(١)].

لقد أعمى التقدّم العلمي والتقني أبصارَهم عن رؤية ضعفهم وفقرهم وقوة الله تعالى وغناه، ووصل العمى مداه عندما ظنوا أنهم باكتشافهم قوانين الكون أصبحوا في غنى عن تدبير الخالق ﷻ، حتى أعلن الفيلسوف الملحد فريدريك نيتشه موت الإله! فقال: «مات الإله! ويظل الإله ميتاً! ونحن من قتلناه! كيف يمكننا أن نعزي أنفسنا، نحن أكبر القتلة؟ إن أقدس وأعظم ما امتلكه العالم قد نزف دمه حتى الموت بطعنات مُدانا»[(٢)].

وقد أهدى الفيزيائي الفرنسي بيير لابلاس[(٣)] إلى نابليون ذات مره كتابه

(١) انظر: جامع البيان، للإمام الطبري (٢٤/٥٣٢).

(٢) العلم المرح، لفريدريك نيتشه (ص ١٣٢).

(٣) بيير سيمون دو لابلاس (١٧٤٩ ـ ١٨٢٧م)، فيزيائي ورياضي وفلكي فرنسي، تسلم وزارة الداخلية في عهد نابليون، وفي سنة ١٨١٢م وعندما كان نابليون في أوج عظمته أهداه لابلاس=

«حركة الأجرام السماوية» فقال نابليون: لماذا يخلو الكتاب من ذكر الإله؟ فقال لابلاس: يا سيدي لست بحاجة إلى هذا الافتراض![1].

ثانيًا: فكرة إله الفجوات (God of the gaps):

نتيجة لما سبق ظهرت في تلك الفترة فكرة ما يُسمى بإله الفجوات (God of the gaps)، ويعنون بها أن المؤمنين بوجود الله تعالى قديمًا آمنوا بالإله لأنهم لم يعرفوا تفسير حركة الكون، فلجئوا إلى فكرة الإله لتفسير ما عَجَزَ العِلم عن تفسيره، وذلك لسد الفجوات المعرفية التي لم يستطع العلم أو العلماء أن يسدوها بعد.

فظاهرة كونية كظاهرة المطر مثلًا، لم يعرف الناس قديمًا كيف ينزل فقالوا: الله أنزله، ثم لما اكتُشِفت الدورة الطبيعية للماء وأنها هي سبب نزول المطر قالوا: إذن لا حاجة للإله!

ولا شك أن هذا الكلام سخيف ومتهافت، سرعان ما يتهشم على صخرة النظر العقلي الصحيح، وبيان ذلك في قاعدة: **السبب القريب لا ينفي السبب البعيد**.

أي: أن العقل لا يمنع أن يكون للحدث عدة أسباب، ولا يلزم من

= الطبعة الجديدة من كتابه «نظرية تحليلية في الاحتمالات»، ولكن بعد ذلك بعامين زال سلطان نابليون ونفي إلى جزيرة (سانت هيلانه) والمفارقة أن لابلاس كان من بين الأشخاص الذين أصدروا قرار نفيه!!

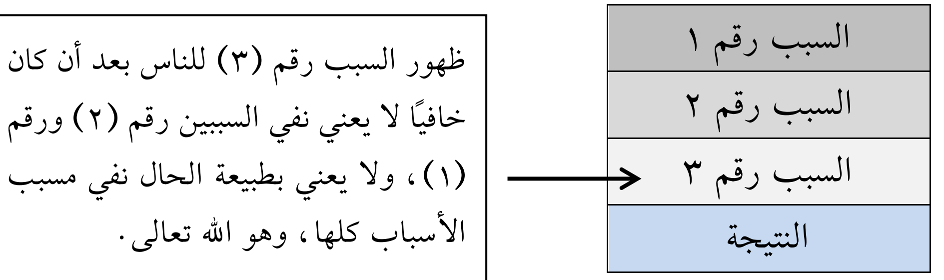
انظر: موسوعة علماء الفيزياء، موريس شربل (ص ٢٤٩).

(١) العلم في منظوره الجديد، روبرت أغروس (ص ٥٤).

اكتشافك للسبب القريب أن ينتفي السبب البعيد.

فمثلًا لو أن عندي آلة لإنتاج الخبز، وهذه الآلة لا تعمل إلا بتشغيل وإدارة منّي، فإذا ظهر لك الخبز، فمعنى ذلك أن هناك سببًا قريبًا وهو الآلة، وسببًا بعيدًا وهو أنا، ولا يجوز عقلًا أن تنفي أنني أنا الذي أنتجت الخبز لمجرد أنك عرفت كيفية تشغيل هذه الآلة! فالاكتفاء بالسبب القريب عن السبب البعيد خلل عقلي وفكري واضح.

وتوضيح ذلك في الشكل الآتي:



فالله ﷻ هو مسبب الأسباب، وخالق كل شيء، فالمطر أنزله الله ﷻ، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقد ذكر الله ﷻ أن له أسبابًا أيضًا فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨ ـ ٤٩].

فالله ﷻ هو مسبب الأسباب وهو الذي أنزل المطر، وهذا لا ينافي أن المطر له أسباب مادية، وقل مثل ذلك في كل الحوادث الكونية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «والذي دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وأئمتها أن الله يخلق الأشياء بالأسباب، فالقوى التي جعلها في الحيوان والجماد هي من الأسباب التي بها يُحْدِث الحوادث»[١].

❁ ثالثًا: الثنائية الزائفة بين الدين والعلم:

من الإشكالات الفكرية في النزعة العلموية كذلك محاولة بعض الناس إيجاد ثنائية متقابلة، وهي ثنائية العلم والدين! فيعتبرون العلم أمرًا مغايرًا للدين لا يمكن أن يلتقي معه! وهذا خلل كبير في الفهم أورث تصورًا خاطئًا[٢].

وقبل أن نشرح هذا الخلل لابد من التنبيه على أمرين مهمين:

١ ـ هناك خلط في الترجمة بين لفظي العلم والمعرفة، وذلك أنه عندما ظهر العلم التجريبي الطبيعي في أوربا أرادوا تمييزه عن العلم الذي تدل عليه كلمات مثل كلمة knowledge في اللغة الإنجليزية، فاختاروا له لفظة تدل عليه بخصوصه، وتميزه عن العلم بصفة عامة، وهي لفظة science ذات الأصل اللاتيني، لكن المترجمين العرب فعلوا العكس تمامًا، فعمدوا إلى أكثر الكلمات دلالة على العلم بصفة عامة وأعطوها هذا المعنى الخاص، فصارت كلمة (علم) تعني science ثم أرادوا أن يميزوا بين هذا المعنى الخاص والمعنى العام فعمدوا إلى كلمة أخرى، هي كلمة (معرفة) فأعطوها المعنى العام الذي تدل عليه كلمة knowledge هذا مع أن كلمة معرفة أخص

(١) شرح العقيدة الأصبهانية، لابن تيمية (ص ٤٠١).

(٢) انظر: الإيمان بالخالق والعلم، لجوردون ليدنر (ص ٤٧) وما بعدها، فقد أورد العديد من عبارات كبار العلماء التجريبيين التي تنفي التعارض بين العلم والدين.

من كلمة علم، فأدى العبث بمعاني هذه الألفاظ المهمة إلى خلط تصوري عظيم، ولاسيما في العلاقة بين العلم والدين، فكلمة (العلم) من أهم الكلمات القرآنية وأكثرها ورودًا في الكتاب العزيز، لكنها عندما أعطيت ذلك المعنى الخاص، معنى كلمة science حدث لبس عظيم، من أمثلته: أننا صرنا نسمع بعض الناس يقولون: هذه مسألة علمية لا دينية! بل سمعنا من يقول: إن القرآن كتاب هداية لا كتاب علم![1].

٢ ـ لا يجوز أن نجعل الأديان كلها في سلة واحدة[2]، فهناك إشكالات حقيقية في النصرانية واليهودية مع العلم التجريبي، فمن الظلم ـ ونحن نتحدث عن العلاقة بين الدين والعلم ـ أن نجعل الإسلام في جهة واحدة مع اليهودية والنصرانية فضلًا عن بقية الأديان الأخرى![3].

لذلك حديثنا هنا عن نفي التعارض بين العلم التجريبي والدين الإسلامي على وجه الخصوص، ولا شأن لنا ببقية الأديان[4].

إذا تقرر هذا فيجب العلم أنه لا تعارض بين الإسلام وبين العلوم التجريبية على الإطلاق.

---

(١) انظر: مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية، للدكتور جعفر شيخ إدريس (ص ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٢) كما فعل صادق جلال العظم في كتابه المتهافت: نقد الفكر الديني!.

(٣) انظر كتاب: بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، لأندرو ديكسون وايت، ترجمة إسماعيل مظهر، وهذا الكتاب تكلم عن علاقة العلم مع الديانة النصرانية على وجه الخصوص.

(٤) انظر لمزيد تفصيل في هذه المسألة كتاب: موقف الإسلام والكنيسة من العلم، لعبدالله المشوخي.

وكيف نتصور وجود هذا التعارض والإسلام يحث على العلم والتقدّم والثقافة في نصوص كثيرة؟! منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة[(١)][(٢)].

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «لما قدم النبي ﷺ المدينة، أُتي بي إليه فقرأت عليه، فقال لي: «تعلم كتاب اليهود، فإني لا آمنهم على كتابنا»، قال: فما مَرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته، فكنت أكتب للنبي ﷺ، وأقرأ كتبهم إليه»[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاء، تعلم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوما، قال أبو الحسن بن البراء: تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوما، وتعلم الحبشية والرومية

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٩٢ ـ رقم: ٢٢١٦) وقال محققوه: حسن، وأخرجه البيهقي (٦/٣٢٢) وروى ابن سعد في الطبقات (٢/٢٢) من طرق عن عامر الشعبي قال: كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك فمن لم يكن عنده شيء، أُمِر أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة، وهذا مرسل. اهـ.

(٢) انظر نصوصًا في حرص النبي ﷺ على تعليم الكتابة في: أقضية رسول الله ﷺ، للإمام ابن الطلّاع (١/٢٣٥ ـ ٢٣٦)، وكتاب تخريج الدلالات السمعية، للخزاعي (ص ٨٤ ـ ٧٨)، وكتاب التراتيب الإدارية، للكتاني (١/٢١٣ ـ ٢٢١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٧١٩٥)، ورواه موصولاً أبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٨٧): «قلت: وإسناده حسن، وإنما صححه الترمذي لأن له طريقا أخرى، وقد قال الترمذي عقب ذلك: «وقد روي من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت، رواه الأعمش، عن ثابت بن عبيد الأنصاري عن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية».

والقبطية من خدام رسول الله ﷺ»[١].

وقد قبل النبي ﷺ فكرة حفر الخندق من سلمان الفارسي رضي الله عنه وهي استراتيجية جديدة مستوردة من الفرس لم تكن تعرفها العرب، كما قبل فكرة صنع المنبر ذي الدرجات الثلاث، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

فالإسلام لم يحارب العلم والاكتشاف والاختراع، بل إن العلماء المسلمين هم من صدّروا العلوم التجريبية إلى الغرب الأوروبي، ويكفي أن تعرف مثلًا أن الخليفة العباسي المقتدر قد «أنشأ غرفة للأطباء وعَيَّن سنان بن ثابت رئيسًا لها، وأمره أن يمتحن كل طبيب على حدة، فإذا ما وجده ضليعًا في فرع من فروع الطب أعطاه تصريحا بالعمل فيه، هذا وقد بلغ عدد الأطباء في جانبي بغداد ثمانمئة رجل ونيفا وستين رجلا (٨٦٠ طبيبًا)، سوى من استغنى عن محنته[٢] باشتهاره بالتقدم في صناعته، وسوى من كان في خدمة السلطان، في الوقت الذي لم يكن في كل مقاطعات الراين طبيب واحد!»[٣].

وقال علي عزت بيجوفيتش: «عرف العالِم العربي البيروني قبل خمسة قرون من كوبرنيكوس أن الأرض تدور حول محورها وحول الشمس، وبسبب برهنته لم يُتهم بالهرطقة ولم ير أحدهم أن تعاليمه ضد الدين، لم يتعلق الأمر وقتها بعلاقة ليبرالية في ذلك المجتمع، إن نظام كوبرنيكوس المركزي كان في

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١١/١٧٠).
(٢) أي: امتحانه.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه (ص ٢٣٥).

تعارض مع المشاعر المسيحية عن العالم، ولم يتعلق الأمر بالأرض ووضعها، وإنما بالإنسان وموقعه من الكون، لم يضع كوبرنيكوس مع الأرض والريف في دائرة خارجية وحسب، وإنما معها الإنسان، الأرض لم تعد مركز العالم، ولا حتى الإنسان وكان على ذلك، أن يقلق بشدة المسيحية، ولكن ليس الإسلام، والذي لا يحمل مفهوما خاصا ومميزًا عن الإنسان، التعاليم التي كانت مستعدة لتوحيد الله والإنسان «الإله ـ الإنسان» كان عليها وفقا لتعاليم كوبرنيكوس أن تنظر في بدعة غير مشفوعة، وأن تهاجم عرضها المحبب، ومن هنا الاختلاف في القبول، وفي مصير كوبرنيكوس والبيروني»[1].

المطلب الثالث: الأدلة على بطلان المنهج العلموي

بعد أن تبين لنا عدم التعارض بين الإسلام والعلم التجريبي، وأن العلم التجريبي ليس مستهجنًا ولا مستنكرًا في الإسلام، بل هو مرغوب فيه، يجب أن نعلم أن المنهج العلموي الذي يحصر المعرفة في الماديات التجريبية منهج باطل، وأدلة ذلك ما يلي:

١ ـ صحة المنهج العلموي ادعاء، والادعاء لا يثبت إلا ببرهان؛ فإن صدّقت بهذا المنهج دون برهان ـ كما يفعل بعض الأغرار ـ فقد ناديت على نفسك بالدوغمائية[2]!

(١) هروبي إلى الحرية، لعلي عزت بيجوفيتش (ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

(٢) الدوغمائية: حالة من الجمود الفكري، يتعصب فيها الشخص لأفكارِه الخاصة لدرجة رفضهِ=

لذلك نحن نطالب أصحاب هذا المنهج بالبرهان، وهذا البرهان لا يخلو من أمرين: إما أن يكون مصدره المنهج العلموي نفسه، أو يكون مصدره من غيره:

* فإن كان مصدره المنهج العلموي نفسه فهذه مغالطة منطقية تُسمى **الاستدلال الدائري**! وهي البرهنة على المسألة بنفسها!

* وإن كان مصدره من خارج المنهج العلموي، فقد حكموا على أنفسهم بالخطأ في حصر المعرفة الإنسانية بالعلم التجريبي!

فهذا المنهج يعاني إذن من مأزق استحالة البرهنة على صحته.

٢ ـ المنهج العلموي يوقعنا في مأزق كبير جدًّا، وهو عدم إمكان الاستدلال على المستحيلات، فإنه من المعلوم أن الموجودات ثلاثة أنواع: مستحيلات، وممكنات، وواجبات، فالمنهج العلموي عاجز عن إثبات المستحيلات، لأنه يقوم على إثبات الوجود لا إثبات العدم، فإن ذلك مرجعه إلى العقل.

٣ ـ حصر مصادر المعرفة في مصدر واحد فيه تضييق وتحجير للمعرفة الإنسانية، وحرمان من آفاق واسعة من المعرفة، التي يمكننا الحصول عليها من العقل أو الخبر.

= الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت لهُ الدلائل التي تثبت لهُ أن أفكارَهُ خاطئة، سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكارِهِ وآرائهِ، وتعتبر حالة شديدة من التعصب للأفكار والمبادئ والقناعات، لدرجة معاداة كل ما يختلف عنها.

٤ ـ لا يمكن أن يقوم المنهج العلموي التجريبي إلا على القواعد العقلية ، فبدون مبدأ السببية العقلي ، لا يمكن الاستفادة من أي تجربة مخبرية قط .

٥ ـ المنهج العلموي عاجز عن إيجاد وتوحيد معيار الأخلاق ، لأن العلوم محايدة إزاء الأخلاق ، ولا يمكن إثبات الأخلاق من خلال المنهج التجريبي ، فلا يمكن معرفة ما هي الأخلاق أصلًا ؟ وما هو الجيد منها ؟ وما هو السيئ ؟

وهذا ما حدا الملحد الشهير ريتشارد دوكنز أن يقول: «ما الذي يمنعنا من القول أن هتلر لم يكن على حق ؟ أعني ، هذا سؤال صعب حقًا»! كما نقله عنه ريتشارد فيكارت[١] .

فظهر بذلك بطلان هذا المنهج ، والحمد لله .

(١) The Death of Humanity, Richard Weikart, (p80).

المبحث الرابع
مَنْهَجُ تَقْسِيمِ المُسْلِمِينَ إلى إسْلامِيّينَ وغَيْرِ إسْلَامِيّين

من المناهج المؤسِّسة للشبهات منهج تقسيم المسلمين إلى إسلاميين وغير إسلاميين، ولم يعرف المسلمون مصطلح (الإسلاميين!) منذ عهد النبي ﷺ إلى منتصف القرن الماضي تقريبًا قبل سنوات قليلة، حين ابتُدع هذا المصطلح في ظروف غامضة وملابسات مشبوهة، فمزّق المسلمين شيعًا وأحزابًا، وفتح أبواب شر كثيرة.

وممن نفخ في كير هذا المصطلح معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى[1]، فقد كتب الباحثون فيه عدة مقالات ترسخ هذا التفريق، وهي

(١) معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى (The Washington Institute for Near East Policy) هو معهد بحثي أمريكي تأسس سنة ١٩٨٥م من قِبل لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية المعروفة اختصارا بأيباك ومقره في واشنطن، بحسب موقعه الإلكتروني أُسس لترقية فهم متوازن وواقعي للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، وبتوجيه من مجلس مستشارين بارز من كلا الحزبين من أجل توفير العلوم والأبحاث للإسهام في صنع السياسة الأمريكية في هذه المنطقة الحيوية من العالم، وينقل موقع تقرير واشنطن أن الهدف من تأسيسه كان دعم المواقف الإسرائيلية من خلال قطاع الأبحاث ومراكز البحوث وأن أيباك كانت المؤسسة الأم للمعهد حيث إن مديره المؤسس هو مارتن إنديك رئيس قسم الأبحاث السابق باللجنة.
انظر: الموقع الرسمي للمعهد
https://www.washingtoninstitute.org/ar/about/mission-and-history/

مترجمة إلى اللغة العربية وموجودة في موقع المعهد الرسمي، ومنها قولهم: «.. ولدواعٍ تعريفية، لا بد من الإشارة إلى أن الإسلام هو رؤيةٌ عالمية، ونظام قيم، ونظام معتقدات يعتنقه نحو ١,٥ مليار مسلم في جميع أنحاء العالم، أما الإسلام السياسي، على سبيل المقارنة، **فهو إيديولوجيا سياسية تدعم تفسيراً صارماً للإسلام، الذي هو محدود ومتصلّب وصارم، وقانوني في الغالب (أي متقيد بحرفية الشريعة)**[1]... ويرسم الإسلاميون صورةً لدولة إسلامية دينية وأسطورية تخاطب العالم الإسلامي بأجمعه، ولم يكن لها وجود صراحةً، ولكنهم يستغلون فكرتها لحشد الناس على ممارسة العنف، وحين تمتزج الإيديولوجيا الإسلامية بالعقيدة السلفية، تنشأ هذه المظاهر الحديثة للجهادية السلفية، فما الذي يجب فعله؟ يجب عزل الإيديولوجيا المتطرفة العنيفة عن الإسلام الشائع»[2].

وسبب حرصهم على هذا التقسيم هو خشية انتهاض جميع المسلمين وانتفاض هممهم للدفاع عن دينهم، لذلك قالوا في مقالة أخرى: «يجب على المفكرين الغربيين أن يدركوا الفرق بين الإسلاموية وعقيدة الإسلام، وإلا فإننا نتجه إلى معركة أيديولوجية مع ربع تعداد البشرية»[3].

فمن هم الإسلاميون أو الراديكاليون في نظرهم؟ الجواب في تتمة المقال السابق: «فهذه الأحزاب الإسلاموية، حتى عندما لا تلجأ إلى العنف،

(١) يعني أن المسلم العادي لا يلتزم بالشريعة الإسلامية بحرفية!.

(٢) https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/islamist-terrorism-in-the-west

(٣) https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/is-it-islamic-or-islamist

تمثل أيديولوجية غير ليبرالية في جوهرها فهي على سبيل المثال ترفض الاعتراف بالمساواة بين الجنسين»[١].

ومن المعلوم أن الإسلام هو الذي فرّق بين الرجل والمرأة في بعض الأحكام، وليس الإسلاميون!، لكنها محاربة الإسلام تحت مسمى محاربة الإسلاميين!.

ويقول جيمس ولسي ـ مفصحًا عن الراديكاليين! ـ: «يؤمن الراديكاليون بأن فشل العالم الإسلامي متجذر في قلة إيمان المسلمين، وبأن الحل الوحيد لمشكلاتهم هو في العودة إلى المنبع الصّافي للدّين، كما يتخيلون أنه حاصل في حياة محمد[٢] وصحابته، يعتقدون أن النموذج هو في حكم الإسلام وقانونه الذي طبق في القرن السابع، وهذا يعني عمليًا أنهم يروّجون لأكثر قوانين الشريعة تشددًا»[٣].

يعني أن جريمة الراديكاليين الشنعاء باختصار أنهم يريدون تطبيق الإسلام الصافي كما طبّقه محمد ﷺ وصحابته!

ويصرح جراهام فولير في ندوة قدمها في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى بأن: «الإسلامية هي الأيديولوجية التي بلغت إلى أبعد من ذلك الذي بلغه الإرهابيون الراديكاليّون، فالإسلامي هو ذلك الذي يؤمن وينشط لتنفيذ فكرة أن القرآن والسنة يجب استعمالهما كمرشدين ليقودا

(١) المصدر السابق.

(٢) ﷺ.

(٣) صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد، د. عائشة وزوز (ص ٢٠٥).

المجتمعات والحكومات»[(١)].

أما المسلمون غير الراديكاليين الجيدين في نظر الغرب فهم المنسلخون عن دينهم والمقتربون من الفكر الغربي!

ومع الأسف الشديد فإن بعض المسلمين قد ساهم في ترسيخ هذه المفاهيم المشوهة المغلوطة، وذلك بتسمية أنفسهم إسلاميين! وبإطلاق ما يُسمى بالأحزاب الإسلامية! أو الجماعات الإسلامية، ثم انقسموا وتشرذموا إلى أحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

والمسلم يجب أن لا يرضى دون الإسلام نسبة، فكلنا مسلمون، لا فرق بيننا إلا بالتقوى، والتقوى علمها عند الله ﷻ، فلا ينبغي أن يُفرَّق بيننا بناءً على أشكالنا أو لباسنا، وذلك لأن الدين مجموعة من العبادات والشعائر والاعتقادات، يسيرٌ منها ظاهر، وكثير منها خفي، فبناءً على ماذا يُصنّف الإسلامي بأنه إسلامي وهذا غير إسلامي؟ هل اطلعتَ على أعمالهم؟ هل اطلعتَ على قربهم من الله؟ أم أنك أخذت بالمظاهر فقط؟

ولهذا التقسيم سلبيات كثيرة، منها:

١ ـ أنه أمر مُحدث مبتدع لم يكن على عهد النبي ﷺ ولم يكن على عهد صحابته الكرام، ولم يكن في عهد القرون المفضلة، بل كان الناس في عهد النبي ﷺ مسلمين فقط، قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

(١) صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد، د. عائشة وزوز (ص ٢٠٩).

٢ ـ أنها تفتح الباب لأعداء الإسلام في محاربة الدين تحت ستار محاربة الإسلاميين الراديكاليين! وذلك بعد تشويههم وتضخيم أخطائهم، لكي يُبَغِّضوا الناس في الدين من خلالهم!

تقول شيريل بينارد في توصيات تقريرها الشهير عن الإسلام الديموقراطي المدني: «ملاحقة الأصوليين بقوة وضرب نقاط الضعف في مواقفهم الإسلامية والأيديولوجية، وذلك بفضح الأشياء التي لا يمكن أن تتقبلها لا مثالية الشباب من جمهورهم المستهدف ولا ورع التقليديين؛ مثل: فسادهم ووحشيتهم وجهلهم الفاضح، والتحيّز الأعمى والأخطاء الفاحشة التي يقعون فيها عند تطبيقهم للإسلام، وعجزهم عن القيادة والحكم»[(١)].

٣ ـ أنها توهم أن الإسلامي ـ حسب تصنيفهم! ـ هو الوحيد المسؤول عن تحكيم شرع الله في أرض الله، وأن غيره من المسلمين ليس مسؤولًا عن ذلك!، بل يكتفي بالصلاة والصيام، ولا علاقة له بعد ذلك في شأن من شؤون الإسلام، لا في أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، أو سعي لاستكمال تحكيم شرع الله! فأبعدوا جماهير المسلمين عن خيرية هذه الأمة، التي قال ﷻ عنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤ ـ أنهم بهذا التقسيم جعلوا لكل فئة دينًا خاصًّا بها!، فغير الإسلاميين لهم دين لا حرام فيه، فلا يرون على أنفسهم غضاضة في ارتكاب الحرام، فقط لأنهم غير إسلاميين بزعمهم!. حتى إن بعض الناس إذا نصحتَه بأمر

(١) الإسلام الديموقراطي المدني، لشيريل بينارد، (ص ١١٢) ترجمة: إبراهيم عوض.

مثلًا، فقلت: يا فلان، اتق الله، هذا حرام، يقول لك: يا أخي، أنا لست إسلاميًا، ولستُ متدينًا، فلماذا تنصحني؟! وهذا والله من تلبيس إبليس.

وحقيقة الأمر أن كل آية في كتاب الله تخاطبك كما أنها تخاطبني، وكل آية في كتاب الله أنت مسؤول عنها كما أنني أنا مسؤول عنها، كل حديث صحَّ عن النبي ﷺ فهو موجَّه لك، وموجَّه لي، وموجَّه للجميع، أنا وأنت سنقف يوم القيامة مع الناس جميعًا.

ومِنْ مَكْرِ هؤلاء أنه بعد إسقاط ما يُسمى بالإسلاميين تأتي عملية إبراز شخصيات معينة على هيئة عالم دين، أو مفكّر إسلامي[(١)]!

تقول شيريل بينارد: «للإسلام الحداثي العديد من الممثلين والقادة المحتملين، وهم أفراد يجمعون المؤهلات العلمية الوثيقة والمعرفة التامة بالعقيدة الإسلامية إلى جانب تعليم ومنظومة قيم حديثين، وبعضهم بارز في المجتمعات أو الدوائر الأكاديمية المحلية... ومن بين هؤلاء الذين تنتشر كتاباتهم في الولايات المتحدة أفضل من غيرهم؛ البروفسور خالد أبو الفضل أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة كاليفورنيا لوس أنجلس (UCLA) وهذا العالم والكاتب المحترم يركز في كتاباته على نقد كل من النهج الاعتذاري التبريري الشائع عند التقليديين، والنهج السلطوي الاستبدادي المتزمت عند

(١) الفكر الإسلامي مصطلح حادث وغامض! فلا أدري من هو المفكر الإسلامي، وما هي محدداته؟ إن كان المقصود به العالم بالشريعة فهذا يسمى: (العالِم) وإن لم يكن عالمًا بالشريعة فلا يحق له الكلام فيما يتعلق بالعلوم الشرعية! وقد أصبح هذا المصطلح قناعًا لبعض من يريد أن يتكلم في دين الله بغير حق!.

الأصوليين؛ على حدّ سواء، وهو يعتقد أن الوضع الحرج للعالم الإسلامي المعاصر يدعو إلى الاستبطان الذاتي، وشحذ البصيرة الناقدة، وهجر فكرة التورط في حرب حضارية مع الغرب، لدينا أيضًا محمد شحرور...»[(١)].

ثم تقول معددةً توصياتها، وبينت أنها تنصح بالآتي: «المساهمة في إنهاء احتكار الأصوليين والتقليديين للإسلام؛ تعريفا وشرحا وتفسيرًا.

ـ **اختيار العلماء الحداثيين المناسبين** لإدارة موقع إلكتروني؛ يجيب على الأسئلة المتعلقة بالحياة اليومية، ويعرض الآراء الفقهية الحداثية.

ـ تشجيع العلماء الحداثيين على كتابة النصوص الأكاديمية والاشتراك في تطوير المناهج.

ـ نشر الكتب الأولية والتمهيدية بأسعار مدعومة، بحيث تكون في متناول الجميع؛ كالكتيبات التي ينشرها المؤلفون الأصوليون.

ـ استخدام وسائل الإعلام المحلية واسعة الانتشار؛ كالمذياع، لإبراز أفكار الحداثيين المسلمين وممارساتهم، ونشر رؤيتهم وتفسيرهم للإسلام عالميًّا وعلى أوسع نطاق»[(٢)].

فهذا المنهج مع ما سبق بيانه من سلبياته وإشكالاته الفكرية إلّا أنه يعتبر من أكثر المناهج المؤسِّسة للشبهات خطورةً، حيث يستغلُّ الإعلامُ الصورةَ

(١) الإسلام الديموقراطي المدني، لشيريل بينارد (ص ٩٠ ـ ٩١).
(٢) الإسلام الديموقراطي المدني، لشيريل بينارد (ص ١١٣).

النمطية المصنوعة لمن سمّوه إسلاميًّا! ثم يعملون على تشويه الدين وعقائده وأحكامه من خلاله، فينطلي هذا التشويه على بقية المسلمين؛ لأنهم قد ميّزوهم وفصلوهم عن الإسلاميين!

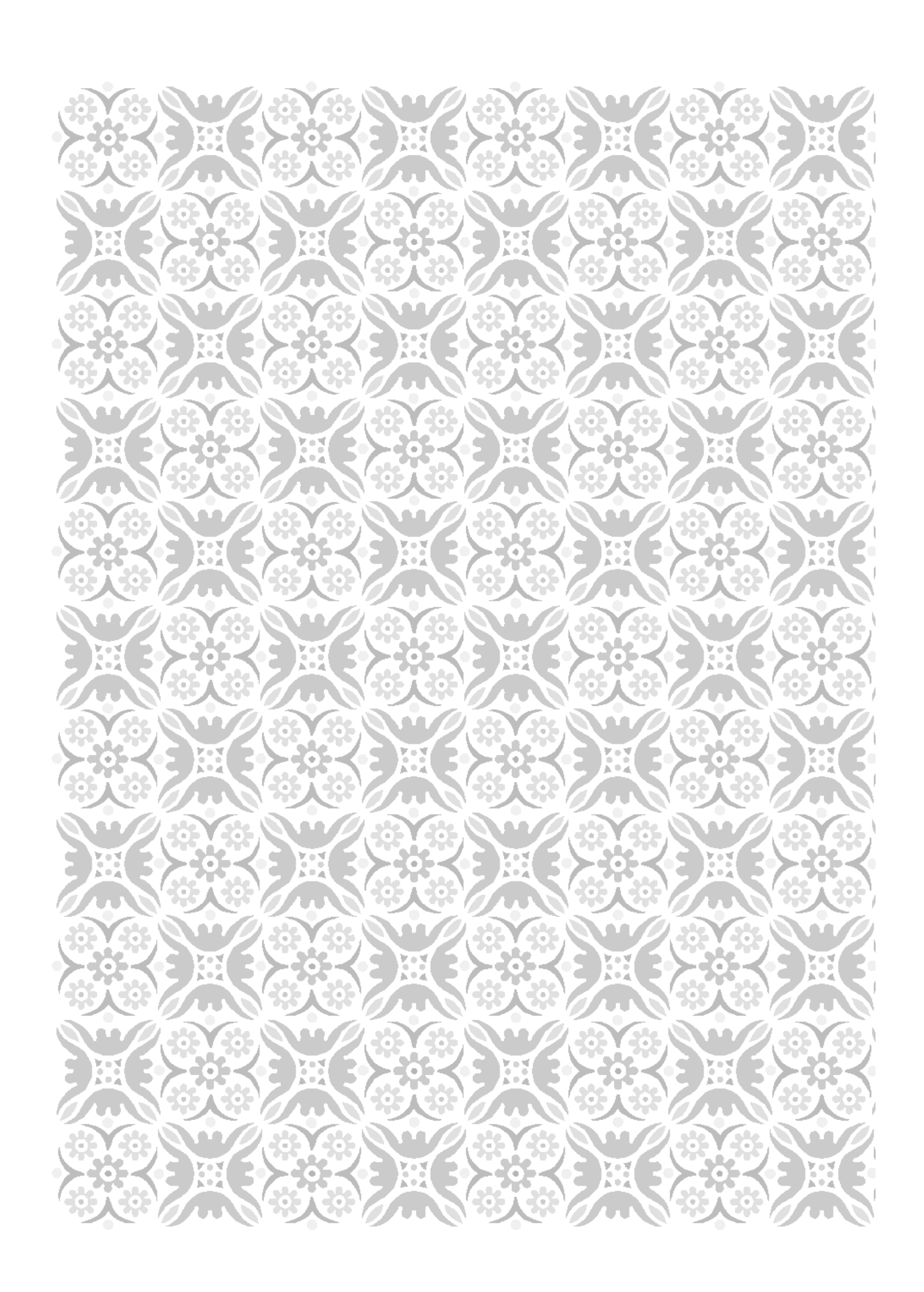
فيجب الحذر و التحذير من هذا المنهج الخطير.



الفَصْلُ الرَّابِعُ

الأُسُسُ التي بُنِيَتْ عَلَيْهَا الشُّبُهاتُ





الشبهات الفكرية كثيرة يصعب حصرها والإحاطة بها والإجابة عنها تفصيليًا، لأن «الكلام على كل ما يخطر ببال كل أحد من الناس من الشبهات السوفسطائية فهذا لا يمكن أن يبينه خطاب على وجه التفصيل»[١].

ولكن إذا تأملنا الأمر سنجدُ أن هذه الشبهات تدور حول أصول محصورة، وتنطلق من مغالطات معينة، ولها أسس تُبنى عليها، لا تكاد تخرج عنها، فإذا ما بيّنّا هذه الأسس وكشفنا هذه المغالطات فستنحلُّ كثيرٌ من هذه الإشكالات والشبهات إن شاء الله، وتتكون الحصانةُ الفكرية والمناعةُ المعرفية التي تحدّ من التأثر بها بحول الله تعالى.

من أجل ذلك سنناقش في هذا الفصل إن شاء الله أهم الأصول والأسس الفكرية والمغالطات التي بُنيت عليها الشبهات والأفكار الفاسدة، وذلك في المباحث التالية.

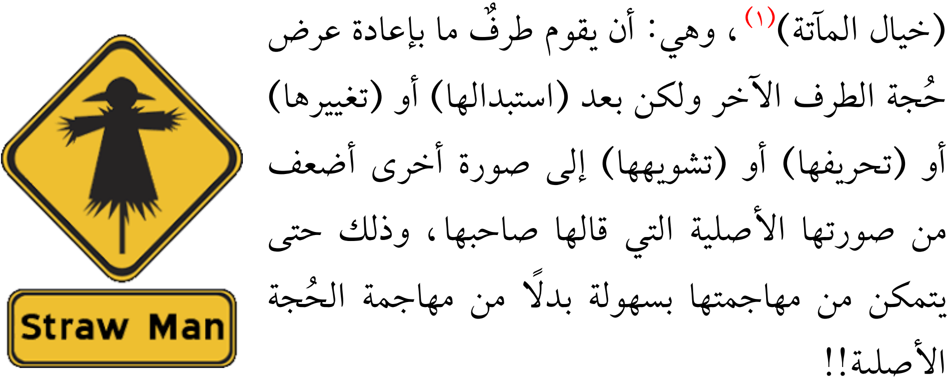
(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣/٣٠٦).

المبحث الأول

الكَذِبُ



من أوضح الأسس التي بُنيت عليها الشبهات أساس الكذب! وهو أساس يقوم على مغالطة منطقية شهيرة، تسمى **مغالطة رجل القش** Straw Man أو (خيال المآتة)[1]، وهي: أن يقوم طرفٌ ما بإعادة عرض حُجة الطرف الآخر ولكن بعد (استبدالها) أو (تغييرها) أو (تحريفها) أو (تشويهها) إلى صورة أخرى أضعف من صورتها الأصلية التي قالها صاحبها، وذلك حتى يتمكن من مهاجمتها بسهولة بدلًا من مهاجمة الحُجة الأصلية!!



و(رجُل القش) مأخوذة من الرجال الوهميين الذين يقوم المزارعون بوضعهم في الحقول لإخافة الطيور ـ حيث يقومون بعملهم من الخشب والحشيش وغيره ويلبسونهم بعض الملابس البشرية لخداع الطيور ـ وتتمثل المُغالطة هنا في شخص لا يستطيع أن يهزم أحد الناس: فبدلا من ذلك يذهب إلى رجل قش فيضربه بدلا من الرجل الأصلي!!

فهذا بالضبط ما تفعله هذه المُغالطة حيث يقوم الطرف الذي لا يستطيع

(١) انظر: المغالطات المنطقية للدكتور عادل مصطفى (ص ٢٠١).

الرد على حُجة الطرف الآخر: بالرد على حُجة أخرى ضعيفة لم يذكرها الطرف الآخر أصلًا: فيظهر بذلك في مظهر المنتصر الذي استطاع الرد!!

وبهذه الخدعة ـ إن لم ينتبه إليها أحد ـ يمكن أن تفقد الحُجج الصحيحة قوتها بالفعل بمثل هذا الالتفاف (البهلواني) عليها!! وبالفعل يُسمي بعض الناس هذه المُغالطة أيضا بالمغالطة البهلوانية.

وهذه المغالطة تعتمد بشكل أساسي على الكذب والبهتان، وهذه هي الصفة السائدة ـ مع الأسف الشديد ـ في الإعلام الذي يثير الشبهات حول الإسلام.

قال باسكال بونيفاس: «انحرافات أخلاقيات المهنة ليست حكرًا على أي نوع من وسائل الإعلام، أصبح الكذب وسيلة شرعية للمعارك الأيدلوجية»[1].

ومن هذا الأساس انطلقت حملات تبشيع الإسلام وتشويه صورته بإلصاق الأكاذيب السامجة والافتراءات السخيفة عليه!

ولم تقتصر حملات الكذب هذه على الغوامض والمسائل الدقيقة، بل تعدّت إلى الأمور الواضحة الجلية المشاهدة! كما ادعت المستشرقة باتريشيا كرون أن مكة المكرمة ليست في مكة المكرمة![2].

انظر كيف وصلوا إلى مناقشة البدهيات الواضحات! وهذا الأمر ليس

(١) المثقفون المغالطون، باسكال بونيفاس (ص ٣٣).
(٢) انظر: الرد على باتريشيا كرون وكتابها تجارة مكة وظهور الإسلام، للدكتورة آمال الروبي (ص ١٩) وما بعدها.

جديدًا بل هو قديم يعود إلى عهد النبي ﷺ فقد اتهم دينه بأبشع الاتهامات، واتُّهم هو شخصيًا كذبًا وزورًا بأنه مجنون وأنه شاعر..! حاشاه ﷺ

واستمرت هذه الحملات، حتى بلغت أوجها في منتصف القرن الخامس الهجري إبّان الإعداد للحملات الصليبية، فقد «انطلق الرهبان يجوبونَ شمالَ أوربة ليدخلوا الهمج الهامج في النصرانية، ويعِدُّوهمْ إعداداً عظيماً لخوض المعركة العظمى بين الإسلام والنصرانية، **وكان جزءاً من هذا الإعدادِ: تبشيع الإسلام في عيونهم**، وأن أهل الإسلام وثنيون، وأن رسولَ الإسلامِ كانَ وكان... فلم يتركوا باباً من الكذبِ والتمويهِ والبشاعة إلّا دخلوُه، ليُقِرُّوا معانِيَه في قَرَارة نفوس أتباعهم من الهَمَج الهامج، ليكون حقاً مَحْضاً، قد نطق به راهب أو ناسك أو قِسيس، فهو مُنَزَّه لا ينطق إلا بالحقّ، فهذا الحقُّ إذَنْ، هو عندهم قَسِيمُ الدِّين الذي آمنوا به واعتنقوه»[(١)].

يقول الدكتور محمود سعيد عمران: «ومن أقوى الوسائل التي استخدمها الصليبيون في طلب النجدة من أوروبا ما بعثوا به إلى الغرب هي لوحة كبيرة بها صورة مدينة بيت المقدس وكنيسة القيامة وفيها ما قالوا: إنه قبر السيد المسيح، وصوَّروا عليه فرسًا عليه فارس مسلم وقد وطئ هذا!، وغير ذلك مما أثار حماس المسيحيين»[(٢)].

ويقول المستشرق مكسيم رودنسون[(٣)]: «أوجدت الحروب الصليبية

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للشيخ محمود شاكر (ص ٣٥).

(٢) تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، (ص ١٤٧).

(٣) مكسيم رودنسون (١٩١٥ ـ ٢٠٠٤م) مستشرق ومؤرخ وعالم اجتماع فرنسي وُلد في باريس، ينحدر من عائلة يهوديّة، كان ماركسيًا مولعا باللغات، ويتقن حوالي ثلاثين لغة بين قديمة وحديثة، هذا فضلا عن معرفته بلهجات عربيّة عدّة، اكتسبها خلال تجربته في عدد من البلدان=

حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومُرْضِية لأيديولوجية الخصوم، **وكان رجل الشارع يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام عن طريق تمثيله بشكله الفج**، على أن تكون في الوقت نفسه مرسومة بشكل يرضي الذوق الأدبي الميال إلى كل ما هو غريب، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت، كان الشخص العادي يريد صورة لأبرز السمات الغريبة التي أدهشت الصليبيين في تعاملهم مع المسلمين، وهكذا حدث أن الكُتّاب اللاتينيين الذين أخذوا بين عام ١١٠٠ وعام ١١٤٠م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة لدى الإنسان العامي، **أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد دون أي اعتبار للدقة**، فأطلقوا العنان لجهل الخيال المنتصر كما جاء في كلمات ر. و. ساوثرن R. W. Southern فكان محمد في عُرفهم ساحرًا هدم الكنيسة في أفريقيا! وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة! وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية، واستعملت أساطير من الفولكلور العالمي ومن الأدب الكلاسيكي ومن القصص البيزنطية عن الإسلام وحتى من المصادر الإسلامية **بعد تشويه باطل من قبل المسيحيين الشرقيين، كل هذه الأشياء استخدمت لتزيين الصورة»**[(١)].

«ونشطت الدعاوي المألوفة في الحروب فأخذت تشيع وتؤكد

= العربيّة إبّان الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، حيث أمضى قرابة سبع سنوات في الجيش الفرنسي (١٩٤٠ ـ ١٩٤٧م)، أمضاها في القيام بعديد من المهام ذات الصبغة الاجتماعيّة؛ وكان له عميق الأثر في عدد غير هيّن من المفكّرين العرب، وخاصّة اليساريين منهم، وتوفي رودنسون في مرسيليا.

انظر كتاب: الجندي المستعرب: سنوات مكسيم رودنسون في لبنان وسوريا (١٩٤٠ ـ ١٩٤٧)، لفيصل جلول.

(١) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لماكسيم رودنسون، ضمن كتاب تراث الإسلام، تحرير: شاخت، (ص ٣٤).

الاضطهاد الذي يلقاه المسيحيون في فلسطين، والمعاملات الوحشية التي يلقونها على أيدي المسلمين، وكلها أبعد ما تكون عن العقيدة الإسلامية، فكان المسلمون يوصفون بأنهم يعبدون تمثالا للنبي محمد! وأخذ الجهال يقولون: إن النبي قد أصابته نوبة صرع التهمته في أثنائها الخنازير البرية! ورويت قصص خرافية عن ثروة الشرق، وعن الغانيات العربيات وهن ينتظرن الرجال البواسل!»[١].

ثم يأتي بعد ذلك الأدب الإنجليزي ليتمم هذه الحملات التشويهية البغيضة، فإن الأدباء الإنجليز عموما، كانوا أكثر جرأةً من الأدباء الفرنسيين في الكتابة عن الإسلام والنيل منه، وقد بدا ذلك جليًا عندهم فيما يُسمى الأدب النورماندي؛ الذي كثر فيه وصف الحروب الصليبية، إضافة إلى سب الإسلام والمسلمين وتحقيرهم، حتى غدا من المفاهيم الشائعة في ذلك العصر إطلاق كلمة (Saracen) وتعني الشرقي أو الشركسي على العرب وسكان الصحراء في الشرق وهي كلمة استعملها بعض النورمانديين للدلالة على الوثنيين في شمال أوروبا، وعلى كل من لا يؤمن بالتوراة والإنجيل، ومع ظهور الإسلام وانتشار المسلمين أصبحت هذه الكلمة شبه خاصة بالمسلمين، كما صُور الإسلام في القصص والمسرحيات والشعر في أدب ذلك العصر على أنه الكفر والإلحاد والهرطقة[٢].

ومن أشهر الأكاذيب التي أُلصقت بالإسلام والمسلمين في هذا العصر **كذبة الإرهاب!** ففي حادثة تفجير أوكلاهوما الشهير سنة ١٩٩٥م التي قام بها

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، (ص ٢٥ ـ ٢٦) وانظر كذلك أمثلة أخرى في (ص ٢٣٠).

(٢) صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، د. عائشة وزوز (ص٢٣٠).

نصراني أمريكي متدين اسمه تيموثي مكفيه سمي العمل في الإعلام الأمريكي انحرافًا (Aberration)! أما عندما روج الإعلام لكون الفاعل مسلمًا؛ فقد وُصف العمل بالإرهابي![(١)].

وهذه الحملات آتت ثمارها الخبيثة، حتى غدا الرأي العام الأمريكي على سبيل المثال لا يعرف الكثير عن الإسلام والمسلمين والشرق الأوسط عمومًا سوى أمور سلبيّة مختزلة في مشاهد الكوارث والانقلابات والصراعات، وما يُسمى بالنشاطات الإرهابيّة، وهو ما أنشأ صورًا مختلطة بعيدة كل البعد عن الواقع الحقيقي.

وقد أجرت «آي بي سي نيوز» دراسة تبين فيها أن ٤٦٪ **من الأمريكيين يعتبرون غالبية المسلمين ذوي نزعاتٍ عنف وميل للإرهاب**، كما يشير مركز العلاقات الأمريكية الإسلامية «كير» إلى أن واحدًا من كل أربعة أمريكيين له مواقف متحيزة ضدّ الإسلام والمسلمين، إذ يرى ٢٣ ـ ٢٧٪ من الأمريكيين أن المسلمين لا يحترمون الحياة كما يحترمها الآخرون، وبأن الإسلام دين يُعلّم الحقد والعنف![(٢)].

---

(١) صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، د. عائشة وزوز (ص ١٩٧).

(٢) صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، د. عائشة وزوز (ص ٢٨٦).

وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: كتاب تغطية الإسلام، تأليف: إدوارد سعيد، ترجمة: سميرة خوري، وهناك ترجمة أخرى للدكتور محمد عناني، طبعت في دار رؤية، لكنه لم يترجم مقدمة الطبعة الثانية للمؤلف.

وكتاب: صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، تأليف: د. عائشة ماجد وزوز. =

ومن أمثلة هذا الأساس كذلك قول الفيلسوف البريطاني الشهير برتنارد راسل في كتابه «**لماذا لستُ مسيحيًا؟**» الذي شرح فيه سبب تركه الدين النصراني واعتناقه الإلحاد: «قبلت ولمدة طويلة حجة السبب الأول، إلى أن جاء يوم وكنتُ في الثامنة عشرة من العمر قرأت فيه السيرة الذاتية لجون ستيوارت ميل، هناك وجدت هذه الجملة[(١)]: «لقد علمني والدي أن سؤال من صنعني لا يمكن الإجابة عليه لأنه يوحي مباشرة بسؤال آخر، وهو: من صنع الإله؟» تلك الجملة البسيطة للغاية أوضحت لي مثلما كنت أفكر وما أزال المغالطة في حجة السبب الأول، **فإذا كان ينبغي أن يكون لكل شيء سبب، إذن ينبغي أن يكون للإله سبب**، وإذا كان من الممكن أن يكون هناك إله بلا علة أو سبب، يمكن إذن أن يكون العالم بدون علة أو سبب مثل الإله تمامًا»[(٢)].

نلاحظ هنا أنه وقع في مغالطة رجل القش، حيث صاغ حجة من عنده وأوهم القارئ أنها حجة المؤمنين بوجود الله تعالى، وهي أن لكل شيء سببًا! وهذا لا يقوله المؤمنون بوجود الله تعالى.

وإنما يقولون: لكل **حادث أو مخلوق سبب**، والله ﷻ ليس مخلوقًا، فلا يمكن أن يورد على هذه الحجة ذلك السؤال المُغالِط: من خلق الله؟!

= وكتاب: لماذا الرسول؟ الصورة ـ الذاكرة ـ التشويه: قصدية الإساءة في الثقافة الغربية، تأليف: أ. د. محمد كريم الساعدي.

(١) انظر: السيرة الذاتية، لجون ستيورات ميل، (ص ٣٦ ـ ٣٧).

(٢) لماذا لستُ مسيحيًا؟، لبرتنارد راسل (ص ١٨).



المبحث الثاني

خَلَلُ الِاحْتِكَامِ المَرْجِعِيّ

من الأسس التي بنيت عليها الشبهات أيضًا: خلل الاحتكام المرجعي، ونعني به الاحتكام في تحسين شيء أو تقبيحه، وتحديد أن هذا الأمر خير أو شر إلى مرجعية خاطئة، وإلزامنا بما لا يلزم!

فمن الناس من يحتكم **إلى أغلبية الناس**، بدلًا من الاحتكام إلى العقل ـ أو على حساب العقل ـ، ومحاولة انتزاع التصديق على فكرة معينة بإثارة مشاعر الحشود وعواطفهم بدلًا من تقديم حجة منطقية صائبة، فإذا كان «الجميع يعتقد ذلك» أو «الكل يؤمن بذلك» فلابدّ أن يكون «ذلك» صحيحًا!»[1].

ومن الناس من يحتكم **إلى سلطة ما**، سواء كانت علمية أو غيرها، فالسُّلْطَة هي ذلك المصدر الذي لا يناقَش، فنخضع له بناءً على إيماننا بأنَّ رأيه هو الكلمة النهائية، وأنَّ معرفته تسمو على معرفتنا، ومن أمثلة ذلك شخصية (أرسطو) بوصفه أشهر أمثلة السُّلْطَة الفكرية والعلمية في التاريخ الثقافي، إذ ظلَّ هذا الفيلسوف اليوناني المصدر الأساس للمعرفة في شتى

(١) انظر: المغالطات المنطقية، عادل مصطفى (ص ١٢٠).

نواحيها طوال العصور الأوروبية، بل كانت كثيرٌ من قضاياه تؤخذ بلا مناقشة، وإن كان البعض تمكن من التحرر من سلطته، خاصة في ميدان العلم التجريبي، ولعل ما يلفت النظر في هذا الخضوع أنه يتخذ شكل التمجيد بل التقديس لشخصية هذا الفيلسوف، مما عاد عليه بالوبال، إذ جمَّده وجعله صنمًا معبودًا[(١)].

ومن أمثلة ذلك ما قاله الملحد الشهير ريتشارد دوكنز في مقابلة تلفزيونية مع الإعلامي مهدي حسن، حيث قرر دوكنز نظرية الأكوان المتعددة، وهي نظرية خيالية مضحكة!

فقال المقدم مهدي حسن: أنت سخرت مني لإيماني بنبي طار إلى الجنة، لكنك تؤمن بوجود الكثير من الأكوان التي لا تستطيع أن تقدم لي دليلًا ملموسًا تجريبيًا عنها، أليس هذا مماثلًا للإيمان بالله والنبي؟

فقال دوكنز: لا يمكنك أن تستخدم حدسك الشخصي لتنقض الفيزياء، لو كنت تستطيع فعل ذلك فلن نكون بحاجة لعلماء الفيزياء، هم أناس على درجة عالية من الذكاء، ويمارسون الرياضيات!.

فقال المقدم: لكن هناك علماء فيزياء كبول دايفس ممن اعتبروا نظرية الأكوان المتعددة غير منطقية[(٢)].

---

(١) انظر: التفكير العلمي، الدكتور فؤاد زكريا (ص ٦٣ ـ ٦٤) وحادي العقول، للدكتور عمرو شريف (ص ٢٧٠).

(٢) مقابلة مصورة في قناة الجزيرة الانجليزية مع ريتشارد دوكنز، وتقديم مهدي حسن، مرفوعة على اليوتيوب https://youtu.be/tjQD1GvSL1k =



فيظهر من هذا الحوار أن دوكنز ارتكب مغالطتين:

الأولى: إيهامه الناس أن نظرية الأكوان المتعددة يقول بها علماء الفيزياء كلهم!

الثانية: مغالطة الاحتكام إلى سلطة، حيث جعل مجرد كون بعض الفيزيائيين قالوا بهذه النظرية يجعلها صحيحة حتى ولو لم يقدموا دليلًا صحيحًا عليها!

ومن أشهر الأخطاء التي تقع في هذا الباب احتكام الناس إلى الثقافة العالمية السائدة! فأصبحت هي المرجع الأول، ومن تجليات ذلك ما حكم به المستشرق الشهير برنارد لويس[1] على المسلمين في كتابه What Went Wrong ،

= وهذا الحوار المذكور أعلاه من الدقيقة (٤٢,٠٠) حتى الدقيقة (٤٥,٠٠).

(١) برنارد لويس (١٩١٦ ـ ٢٠١٨م)، ولد من أسرة يهودية من الطبقة الوسطى في لندن، ولا تذكر المراجع أية معلومات عن تلقيه تعليماً دينيًّا يهوديًّا خاصًّا، التحق بجامعة لندن لدراسة التاريخ، ثم انتقل إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة ١٩٣٧م، متتلمذا على المستشرق الفرنسي ماسينون وغيره.

أصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي سنة ١٩٤٩م، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٤م على إثر فضيحة أخلاقية!، ودُعِي للعمل أستاذًا زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية والأوروبية منها جامعة كولمبيا وجامعة أنديانا وجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس وجامعة أكلاهوما وجامعة برنستون التي انتقل إليها، حتى تقاعده، وهناك **عيِّن مديراً مشاركاً لمعهد أنانبرج اليهودي للدراسات اليهودية والشرق أوسطية** في مدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا.

يعدُّ لويس من أغزر المستشرقين إنتاجاً، وإن كان له قدرة على إعادة نشر بعض ما سبق نشره بصور أخرى، قبل تقاعده بقليل اهتم بقضايا العالم العربي والإسلامي المعاصرة، فكتب عن الحركات الإسلامية (الأصولية) وعن الإسلام والديموقراطية، قدَّم خدماته واستشاراته=

وبيّن الفرق بين المسلم الجيد، والمسلم السيئ وذلك بحسب قربه أو بعده من تقليد الغرب وموافقة المصالح الغربية؛ **فالمسلم الجيد هو اللاديني المقلد للغرب، الذي يدعم السياسات الغربية ولا يقف في وجهها وأما السيئ فهو من يناهض المعاصرة، ويهدد المصالح الغربية!**[(١)].

= لكل من الحكومة البريطانية التي كلَّفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية، وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفازية عام ١٩٥٤م، كما قدَّم استشارته للكونجرس الأمريكي أكثر من مرة، وفي ٨ مارس ١٩٧٤م، **ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي حول قضية الشرق الأوسط، ولأهمية هذه المحاضرة نشرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أسبوعين من إلقائها**، وهو من أشد المدافعين عن الاحتلال الصهيوني، والمحاربين للإسلام.

انظر: محاضرة على اليوتيوب بعنوان: (منهج برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي في الإسلام) للدكتور مازن مطبقاني، وكتاب: جهود المستشرقين بين التجرد العلمي ونظرية المؤامرة (برنارد لويس نموذجًا)، تأليف: محمد يسري أبو هدور

(١) انظر: صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد، د. عائشة وزوز (ص ٢٥٢).

المبحث الثالث
فَخُّ الإِجْمَالِ



المجمل هو: ما تردّد بين محتملين فأكثر على السواء[1]، وقيل: المجمل ما لم تتضح دلالته[2].

فمن أسس الشبهات ومثاراتها: استعمال المجمل من الكلام، أي استعمال ألفاظ تحتوي على معانٍ صحيحة ومعاني باطلة، واعتبار هذه الألفاظ كأنها حقيقة مطلقة!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر، والعرض، والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات، كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع، فقال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب.. **يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم**.

(١) مختصر التحرير، للإمام ابن النجار (ص ٩٩).

(٢) هذا التعريف للإمام ابن مفلح ﵀ في كتابه أصول الفقه (٣/٩٩٩).

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة ـ بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة ـ كان ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً في الوسائل والمسائل من غير بيان التفصيل والتقسيم، الذي هو من الصراط المستقيم، **وهذا من مثارات الشبه**»[١].

فانظر كيف جعل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأساس من مثارات الشبه، فهذا الأساس يعتمد على مغالطة منطقية، وهي مغالطة الألفاظ المشحونة أو الملقمة[٢].

قال العلامة ابن الوزير ﵀: «وقد يوردُ المتحذلِقُ في علم الجدل الشُّبَهَ، فيكسوها من حسن الترصيف، وجودة الترتيب ما يُموِّهُ به على كثير من المتعاطين لعلم النظر، والمنقطعين في فنِّ الكلام، فإيَّاك والاغترار بذلك، فإن أكثر المعاني المشوَّهة تُسْتَرُ بالعبارات المموّهة»[٣].

ومن أمثلة ذلك رفع شعار المساواة، والاعتراض على قول الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] بأنها خطأ لأنها مخالفة للمساواة!

وهنا المغالطة، فإن المساواة لفظ مجمل، فيه حق وفيه باطل، بل المساواة تكون في بعض الأحيان ظلمًا؟!

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/٤٤ ـ ٤٥).

(٢) انظر: المغالطات المنطقية، د. عادل مصطفى (ص ١٤٧).

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير اليماني (٤/١٧٩).

أما المعنى الحق المطلق فهو العدل، والعدل لا يستلزم المساواة، كما هو معلوم.



قال غوستاف لوبون: «إن قوةَ الكلمات مرتبطة بالصور التي تثيرها، وهي مستقلة تمامًا عن معانيها الحقيقية، والكلمات التي يصعب تحديد معانيها بشكلٍ دقيق هي التي تمتلك أحيانًا أكبر قدرة على التأثير والفعل.

فمن أمثلة ذلك الكلمات التالية: الديمقراطية، الاشتراكية، المساواة، الحرية، إلخ.. فمعانيها من الغموض بحيث إننا نحتاج إلى مجلدات ضخمة لشرحها، ومع ذلك فإن حروفها تمتلك قوة سحرية بالفعل، كما لو أنها تحتوي على حل لكل المشاكل، فهي تجمع المطامحة اللاواعية المتنوعة وتركبها، وتحتوي على الأمل بتحقيقها، فالعقل والمحاجات العقلانية لا يمكنها أن تقاوم بعض الكلمات والصياغات التعبيرية، فما إن تُلفَظ بنوعٍ من الخشوع أمام الجماهير حتى تعلو آيات الاحترام على الوجوه وتنحني الجباه بها. والكثيرون يعتبرونها بمثابة قوة من قوى الطبيعة، أو قوى خارقة للطبيعة، فهي تثير في النفوس صورًا مجيدة وغامضة، ولكن الغموض الذي يظللها يزيد من قوتها السرية»[1].

ومن أشهر الكلمات المجملة، والتي مُررت من خلالها العديد من

(١) سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون (ص ١١٦).

الشبهات، كلمة (الحرية)، فهذه الكلمة لها بريق أخّاذ، يسلب العقول، ولكنّها تحتوي على حق وباطل، فهناك حرية الكُفر والانحلال والعصيان والاعتداء على الآخرين، وهذه مرفوضة، وهناك حرية التملك والتجارة والطعام والشراب وغيرها، وهي مقبولة، لذلك لا يجوز لنا أن نقبل كلمة الحرية وننادي بها قبل تمحيص معناها، ومعرفة المقصود بها.

المبحث الرابع
الإِسْقَاطُ التَّارِيخِيّ



هذا الأساس بُني عليه عددٌ من الشبهات أيضًا، وهو أساس الإسقاط التاريخي: «ونعني بهذا إسقاط الواقع المعاصر المعيش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم»[(١)]، والشبهات المبنية على هذا الأساس اعتمدت على مغالطة منطقية، وهي مغالطة: عدم الاكتراث بالسياق[(٢)].

وأغلب الشبهات المبنية على هذا الأساس هي الشبهات المتعلقة بالسيرة النبوية وحياة النبي ﷺ، وذلك من خلال محاكمة الأعراف السائدة في ذلك الوقت إلى الأعراف والمعتقدات السائدة في زمننا هذا، وهذا ـ مع الأسف ـ ديدن المستشرقين في دراستهم لسيرة النبي ﷺ[(٣)].

(١) المنهج عند المستشرقين، للدكتور عبدالعظيم الديب (ص ٣٦٣).

(٢) انظر كتاب حجج فاسدة، لجوليان باجيني (ص ٨٤).

(٣) انظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ: عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، تأليف: د. رياض بن حمد العمري (٥٢٦/١)، وكتاب محمد مؤسس الدين الإسلامي، لجورج بوش: عرض ونقد، تأليف: محمود بغدادي (ص ٥١)، وكتاب الاستشراق في السيرة النبوية، لعبدالله محمد الأمين (ص ٣٥) وغيرها.



ومَثَلَ من يفعل ذلك كمثل من يأتي بصورة إنسان عمرها ١٥٠ سنة مثلاً، ثم يضحك ويستهزأ بملابسه التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومتوافقة مع أعرافه!

وهذه السخرية ناشئة عن هذه المغالطة الحاصلة: وهي محاكمة معايير اللباس في الزمن السابق إلى معايير اللباس في هذا الزمن، وإلا فإن لباس هذا الرجل لا يُعتبر مثارًا للسخرية في زمنه وأعرافه.

وسيأتي في الفصل السادس من هذا الكتاب نماذج من الشبهات المبنية على هذا الأساس إن شاء الله.



المبحث الخامس
عَدَمُ مُرَاعَاةِ التَّطَوُّرِ الدّلاليّ



من طبيعة اللغات حصول التغير في دلالتها مع مرور الزمن، وذلك لأسباب عديدة، منها كثرة الاستعمال، ومنها الأسباب الثقافية والاجتماعية، والعوامل النفسية وغيرها[١].

فقد تكون الكلمة في زمن من الأزمان دالة على معنى ما، فلا تزال دلالتها تتغير وتتطور حتى يأتي عليها زمن تكون فيه دالة على معنى مغاير تماماً، ولذلك أمثلة كثيرة، منها:

الكلمة	معناها الأصلي	تطورها الدلالي
جرثومة	أصل الشيء	مصطلح طبي يدل على (الميكروب)
المسرح	مرعى الإبل والغنم والبغال وغيرها	المنصّة التي يؤدّي فوقها الممثّلون أدوارَهم
السيارة	القافِلَة	مَرْكَبَة آلِيَّة تَسيرُ بِمُحَرِّك مُحْرِق لِلْبِنْزين تُستَخْدَمُ لِلرُّكوبِ والنَّقْل
الاحتيال	حال الشخص يحول إذا تحرك	الغش والغبن
الفشل	وأصل معناها: "الفزع والجبن والضعف"	الإخفاق والانكسار

(١) انظر: التغير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، للدكتور محمد الشتيوي (ص ٥٧) وما بعدها.

ومن هنا أثيرت عدة شبهات بُنيت على أساس عدم مراعاة التطور الدلالي للكلمات.

فمثلًا يأتون إلى كلمات وردت على لسان النبي ﷺ ثم يفهمونها على مقتضى ما استقر عليه معناها دون مراعاة للتطور الدلالي لها، ويشنعون على الإسلام بذلك!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معدّدًا أسباب مخالفة بعض العلماء لأحاديث النبي ﷺ: «وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي ﷺ، وهو يحمله على ما يفهمه في لغته بناء على أن الأصل بقاء اللغة، كما سمع بعضهم آثارًا في الرخصة في النبيذ، فظنوه بعض أنواع المسكر، لأنه لغتهم وإنما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشتد، فإنه جاء مفسرًا في أحاديث كثيرة صحيحة، وسمعوا لفظ الخمر في الكتاب والسنة فاعتقدوه عصير العنب المشتد خاصة، بناء على أنه كذلك في اللغة وإن كان قد جاء من الأحاديث أحاديث كثيرة صحيحة تبين أن الخمر اسم لكل شراب مسكر»[(١)].

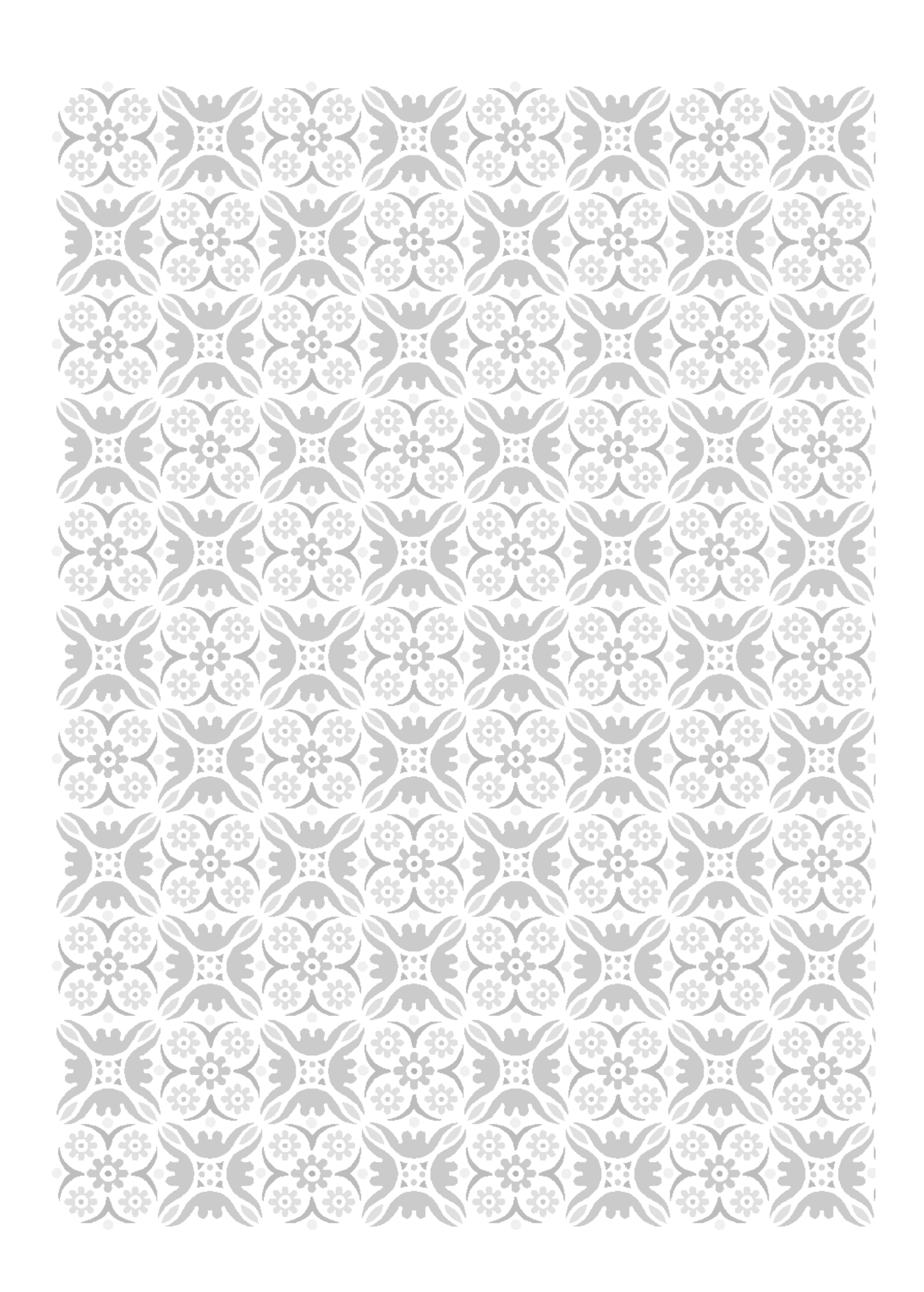
وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وهذا الباب يعرض منه اختلاف كثير، سببه أن يكون لذلك اللفظ في لغته وعرفه معنى غير معناه في لغة الرسول أو أعم منه أو أخص، فتفطن لهذا الموضع فإنه منشأ لغلط كثير على صاحب الشرع»[(٢)].

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٧).
(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٢/٥٦٣).

قال الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله: «وإذا أردنا أن نعد أخطاء «لامانس»[(١)] فإننا لا نقف عند حد، إنه مثلا يتعمد أن يعطي الألفاظ معنى آخر غير المعنى الذي تعطيه لغويًا اصطلاحيًا، وكأنه في ذلك موكل بقلب الحقائق»[(٢)].

(١) هنري لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧ م) يسوعي بلجيكي ومستشرق، ولد في بلجيكيا، وتوفي في بيروت، قال عنه د. عبدالرحمن بدوي: «مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصّب ضد الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجا سيئا جدًا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين»، فهو من أشد المتحاملين على الإسلام حتى اتهم كثيرا بالتزوير والتزييف، وبالذات في دراساته في السيرة النبوية والتاريخ الأموي.
انظر: موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي (ص ٥٠٣).

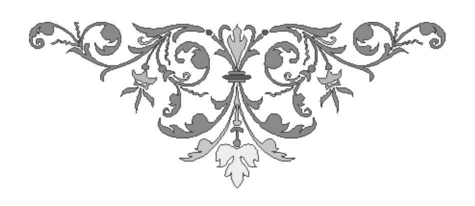
(٢) أوروبا والإسلام، عبدالحليم محمود (ص ١٣٤ ـ ١٣٥).

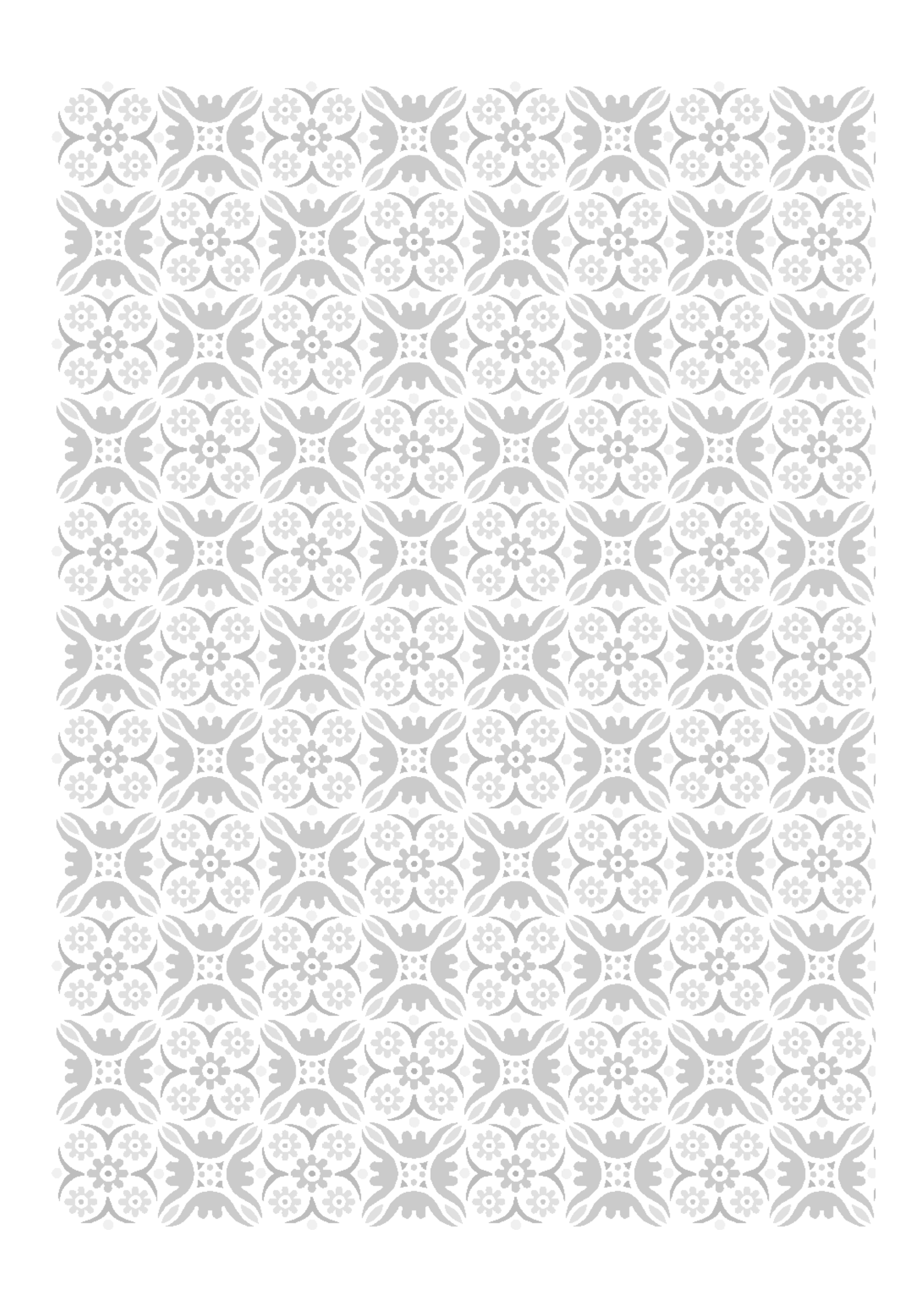




الفصل الخامس

الخُطُوات العَمَلِيَّةُ لِنَقْضِ الشُّبُهاتِ







فر من الشبهات فرارك من الأسد..

قبل بيان الخطوات العملية لنقض الشبهات لابد من التنبيه على أمر منهجي مهم جدًا، وهو ضرورة الإعراض عن الشبهات ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلًا، فالسلامة لا يعدلها شيء.

فإن الاستماع لأهل الضلال والأهواء والبدع والشبهات خطر عظيم على دين المرء، ما لم يكن عالما بشبهاتهم ومستعدًا للرد عليها، وإلا فلا يؤمن عليه أن يقذفوه فيها، ولهذا حذر النبي ﷺ من أهل الأهواء والشبهات.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**»(١).

وروى الإمام أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ وسلم قال: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»(٢).

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٦) وأبو داود في سننه (٤٧١٠) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٣٣ ـ رقم: ١٨٧)، وقد سكت عنه الحافظ ابن حجر في «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة» (١/١٠٤)، وقد بين في المقدمة أن ما سكت عنه فهو حسن عنده، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١/٢٥٢).

قال المناوي رحمه الله: «(لا تجالسوا أهل القدر).. فإنه لا يؤمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون (ولا تفاتحوهم) أي: لا تحاكموهم أو لا تبدئوهم بالمجادلة والمناظرة في الاعتقاديات لئلا يقع أحدكم في شك، فإن لهم قدرة على المجادلة بغير الحق، والأول أظهر»[(١)].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إياكم وما يُحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يُحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام، **ويتكلمون في ربهم** عز وجل، **فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب**» قيل: يا أبا عبدالرحمن فإلى أين؟.

قال: «**إلى لا أين، يهرب بقلبه، ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع**»[(٢)].

وكان أبو قلابة رحمه الله يقول: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم».

ودخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك، قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل، قال: لا، لتقومُنَّ عني، أو لأقومَنَّه، فقام الرجلان فخرجا.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لا تجلس مع صاحب بدعة؛ فإني أخاف

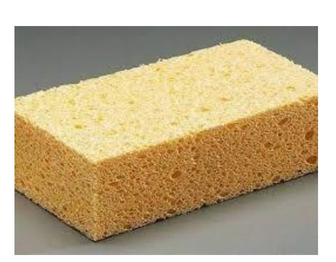
(١) فيض القدير، للمناوي (٦/٤٨٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٣٦ ـ ١٣٧ ـ رقم: ١٩٦).

أن ينزل عليك اللعنة».

وقال محمد بن النضر الحارثي رحمه الله: «من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة، وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه».

وقال عبد الرزاق الصنعاني الإمام: قال: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: «إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟ قلت: لا. قال: لم؟ قلت: لأن القلب ضعيف، وإن الدين ليس لمن غلب»(١).



وقال الإمام ابن القيم رحمه الله «قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه ـ وقد جعلت أورد عليه إيرادا بعد إيراد ـ: «**لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة**، فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقرا للشبهات»، أو كما قال؛ فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك»(٢).

وقال الذهبي رحمه الله وساق قول سفيان: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم خَرَجَ من عِصمة الله ووُكل إلى نفسه، وعنه: من يسمع ببدعة

(١) ما سبق من الآثار مصدرها كتاب «الشريعة» للآجري، وكتاب «أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي، وغيرها.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لابن القيم (١/٣٩٥).

فلا يحكها لجلسائه لا يلقيها في قلوبهم» ، ثم قال الذهبي: «قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير ، يرون أن القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة»[١].

فإذا كان هذا حال الأئمة ، فكيف بمن لا حظ له من العلم؟! وقانا الله وإياكم البدع والأهواء وأهلها.

لكن إذا لم يتمكن الإنسان من الهرب ، وابتلي بشبهة ما ولم يتمكن من الإعراض عنها ، فماذا يفعل؟

عليه **أولًا** أن يثق بربه تعالى وبنبيه ودينه ، ثم عليه **ثانيًا** أن يتأنى ولا يستعجل ، وليكن عنده **ثالثًا** شيء من الحمية على دينه ، ولا يقبل أن يتكلم أحد عن دينه بسوء كما لا يقبل أن يتكلم أحد عن أبيه أو أمه!

ثم عليه أن يعلم أنه لا يوجد شبهة ـ بحمد الله تعالى ـ لا يوجد عليها جواب مقنع ، علمه من علمه وجهله من جهله.

ثم إذا أراد نقض الشبهة فليستعن بالله تعالى ثم ينقضها من خلال الخطوات العملية الثلاثية الآتي بيانها ، وهي تفكيك الشبهة ، والتثبت من النقل ، وطلب الدليل ، وبيانها وتفصيلها في الخطوات التالية.

(١) سير أعلام النبلاء (٢٦١/٧).

۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة وتحليل أجزائها.

من سمات الشبهات ومن أسباب رواجها أنها مغلفة بغلاف يشبه الحق! فالشبهة في الغالب لها بريقٌ وبهرج، كلماتها منمقة، ظاهرها الحُسن وباطنها القُبح، لذلك كان لزامًا على من يريد أن ينقض شبهةً أن يُفكّكها أولًا إلى أجزاء، بحيث يتميز الباطل عن غيره، ثم يفنّدها، ثم ينظر هل فيها كلمة مجملة تحتاج بيانًا فنبينه، وهل فيها سياق تاريخي معين يؤثر في النظر إليها فنراعيه، وهل فيها كلمة حصل لها تطور دلالي فنقف عليه، وبيان ذلك في التالي:

❋ أولًا: تفكيك الشبهة إلى أجزاء:

تفكيك الشبهة يعني بيان أجزائها الثلاثة، فالشبهة في الغالب تتكون من مقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة، ولنأخذ على ذلك مثالًا:

- شُبهة: «**الإسلام فيه ظلم لأنه ليس فيه مساواة بين الرجل والمرأة**»

نفكّك هذه الشبهة على النحو التالي:

المقدمة الصغرى	الإسلام ليس فيه مساواة بين الرجل والمرأة	هذه مقدمة مجملة تحتاج بيانًا!
المقدمة الكبرى	عدم المساواة بين الرجل والمرأة ظلم	هذه المقدمة تحتاج دليلًا!
النتيجة =	الإسلام فيه ظلم!	نتوقف في النتيجة حتى تثبت صحة المقدمتين

وسيأتي استكمال تفنيدها في الخطوات التالية.

* ثانيًا: بيان الإجمال:

سبق معنا أن من أسس الشبهات: العبارات المجملة التي تُمرر من خلالها المفاهيم الخاطئة، والموقف الصحيح هو عدم قبول العبارة مطلقًا ولا ردها مطلقًا، وإنما المطالبة بالتفصيل، فإذا ما وردت عليك شبهة، ففككتها فانظر في كلماتها، فإن كان فيها إجمال أو غموض فبيّن هذا الإجمال وأزل الغموض حتى لا يختلط الحق بالباطل.

* ثالثًا: مراعاة التطور الدلالي للكلمات:

من المهم جدًا إذا اطلعت على شبهة تتعلق بالتشنيع على عبارة وردت في نص من النصوص الشرعية، أن تتأكد من عدم وجود اختلال في الفهم بسبب التطور الدلالي للكلمة، فرُب كلمة كانت تدل على معنى ما ثم أصبحت تدل على معنى مختلف في أذهان المعاصرين.

ومن أمثلة ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[(١)]، فيقول صاحب الشبهة هذه إهانة للمرأة! كيف توصف المرأة بأنها عورة!؟

بل قد صدر من بعض من يوصف بأنه من الدعاة! قوله: «**بعض الرجال يرى أن المرأة عورة!** هذه الكلمة شخصياً أعتبرها ثقيلة حقيقة، المرأة إنسانة كيان وعقل وروح وعاطفة» انتهى كلامه.

(١) رواه الترمذي (١١٧٣) وقال: حسن صحيح غريب، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٨٥) وابن حبان (٥٥٩٨) وقال الألباني في إرواء الغليل (٣٠٣/١): وهذا إسناد صحيح.

انظروا كيف انتقل ذهنهم عند سماع الحديث إلى معنى سيء قبيح على خلاف مقصود النبي ﷺ الذي هو أعف البشر لسانًا وأحسنهم خُلقًا.

وهم لو علموا أن هناك ما يُسمى بالتطور الدلالي للكلمة لما قالوا هذا الكلام.

فالعورة في لغة العرب تعني «كل مكمن للستر»[١]، ومن ذلك بيوت الناس، فقد قال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] فهل يقصدون إهانة بيوتهم أو الإساءة إليها!؟

فمعنى الحديث أن المرأة يجب أن تُحفظ وتُصان وتُحمى من أن يعتدي عليها أحد، إكرامًا لها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «المرأة يجب أن تُصان وتُحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خُصّت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل»[٢].

أما اليوم فلا ينصرف الذهن عند سماع كلمة (عورة) إلا إلى المعنى القبيح! فانظر كيف اتضح المعنى عند مراعاة التطور الدلالي للكلمة.

❊ رابعًا: استحضار السياق التاريخي:

سبق أن عرفنا أن من أسس الشبهات أساس الإسقاط التاريخي، فهناك

(١) القاموس المحيط، للفيروزأبادي (١/٤٤٦)، وتاج العروس (١٣/١٦٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٢٩٧).

الكثير من الشبهات قد بنيت على هذا الأساس، لا سيما الشبهات المتعلقة بالسيرة النبوية وحياة النبي ﷺ، وذلك من خلال محاكمة الأعراف السائدة في ذلك الوقت إلى الأعراف والمعتقدات السائدة في زمننا هذا.

ومن أشهر هذه الشبهات شبهة زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وشبهة تعدد زواجات النبي ﷺ، وسيأتي الجواب المفصّل عنهما في الفصل القادم.

لكن هناك رد مجمل يجب استحضاره هنا: وهو أن يُقال: إننا إذا استطلعنا آراء أعداء النبي ﷺ في زمنه مثل أبي جهل وأبي لهب، ممن كان يناصبه العداء، فهل يُتصوّر أن مثل هؤلاء سيتغاضون عن خطأ من أخطاء النبي ﷺ؟

الجواب: أبداً، هم أصلاً كذبوا عليه، وقالوا عنه ساحر وشاعر وكذاب، لأنهم لم يجدوا عيباً يعيبونه به، فهل يتصوّر لو كان النبي ﷺ قد أتى أمراً منتقداً أن يتركوه؟!

فبما أنهم لم ينتقدوا هذا الأمر ـ مع شدة حرصهم على خطأ النبي ﷺ ـ فهذا دليل على أنه ليس بخطأ.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الذهبي رحمه الله في معرض رده شبهة تَعلّمِ النبي ﷺ من بحيرا الراهب، حيث قال: «ولم نر النبي ﷺ ذكّر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ، مع توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده ﷺ حس من النبوة؛ ولما أُنْكِر مجيء الوحي إليه»(١).

(١) سير أعلام النبلاء ـ قسم السيرة النبوية ـ (١/٥٨).

كما استند على هذه الفكرة في الرد الإجمالي جملةٌ من علماء السلف، ومن ذلك ما رواه الإمام الخطّابي عن ابن أبي هريرة عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قول الله ﷻ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ فأخبر أنه لا يقسم ثم أقسم به في قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا﴾ [التين: ١ ـ ٤].

فقال له ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك: أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ قال: لا، بل اقطعني، ثم أجبني.

فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهراني قوم، كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزًا، وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرتَ.

ثم قال له: إن العرب قد تُدخل «لا» في أثناء كلامها وتُلغي معناها؛ كقول الشاعر:

في بئر لا حـور سرىٰ وما شعـر

يريد: في بئر حور سرىٰ وما شعر»[1].

[1] بيان إعجاز القرآن، للإمام الخطابي (ص ٥٧ ـ ٥٨).

۞ الخطوة الثانية: التثبت من صحة النقل.

يُعول مثيرو الشبهات دائمًا على كسلنا المعرفي مع الأسف! فقد سبق معنا أن من أسس الشبهات اختلاق الأكاذيب والافتراءات، ولولا أنهم يجدون من يصدّق هذه الافتراءات لما استمروا على كذبهم![1].

لذلك يجب علينا أن ننفض عنا غبار الكسل المعرفي، وأن نعرض كل معلومة نسمعها ـ لا سيما إذا كانت جديدة علينا ـ على طاولة التثبت والبرهان.

وقبل مناقشة أي فكرة والرد على أي شبهة يجب أن نفكّكها أولًا كما سبق ثم نتثبت ونتأكد من ثبوتها أولًا ثم نناقشها، لأنها إذا لم تثبت فما الحاجة إلى ردها ومناقشتها؟!

ومن هنا قال علماء أدب البحث والمناظرة: (إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل).

والله ﷻ في القرآن الكريم يعلمنا التثبّت في الأمور وعدم التعجل، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٩٤].

---

(١) انظر: هندسة الجمهور، لأحمد فهمي (ص ١٦٢).

وجعل النبي ﷺ نقل الكلام دون تثبّت من صحته نوعًا من الإثم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرء إثما أن يُحدّث بكل ما سمع**»[1].

وفي سبيل تأسيس النبي ﷺ لمنهج التثبت والتبين في الأخبار ذم الكلام المرسل الذي لا زمام له ولا خطام، والذي يُجعل قبله كلمة «يقولون» أو كلمة «زعموا» فقال ﷺ: «**بئس مطية الرجل: زعموا**»[2].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: «وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه وإنما هو شيء يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ فذم ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله وأمر بالتثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة وقد قيل: الراوية أحد الكاذبين»[3].

وفي مثالنا السابق في الخطوة الأولى فكّكنا الشبهة ووجدنا أن المقدمة الصغرى تقول: الإسلام ليس فيه مساواة بين الرجل والمرأة.

وفي هذه الخطوة نتفحص هذه المقدمة ونتثبت من صحتها، فهل

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢) وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٧٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/١٣٧)، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٢١٦): «وسنده صحيح متّصل أُمِنَ فيه من تدليس الوليد وتسويته». وقد استفدت الدلالة على هذا النقل من كتاب «التفكير الموضوعي في ضوء السنة النبوية» للدكتور سامح عبدالله متولي (ص ٥٤).

(٣) معالم السنن، للخطابي (٤/١٣٠).

الإسلام فعلًا ليس فيه مساواة بين الرجل والمرأة؟

الجواب: أما على جهة الإجمال فلا فرق بين الرجل والمرأة في الإسلام، فكلاهما مكرّم مكلّف بالصلاة وسائر العبادات في الجملة، وكلاهما له حق التملك، وحق البيع والشراء.

ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[(١)]، قال الإمام ابن العربي رحمه الله «يعني: أن الخلقة فيهم واحدة، والحكم فيهم بالشريعة سواء»[(٢)].

ولكن لأن المرأة تختلف في تكوينها الجسماني والنفسي عن الرجل اختلفت بعض الأحكام الشرعية تبعًا لذلك.

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي (١/١٩٠): هذا إسناد صحيح، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٦٣).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي (٢/٢١٦).

۞ الخطوة الثالثة: طلب الدليل الصحيح.

سبق معنا في الفصل الرابع أن من الأسس التي بنيت عليها كثير من الشبهات: أساس الاحتكام إلى مرجعية خاطئة.

فالخطوة الثالثة بعد تفكيك الشبهة والتثبت من النقل أن تسأل عن المرجعية التي اعتمد عليها قائل الشبهة في كلامه.

وفي المثال السابق، وجدنا أن المقدمة الكبرى تقول: عدم المساواة بين الرجل والمرأة ظلم!

وهنا نسأل: ما الدليل على هذا الكلام؟ وما هي المرجعية المعيارية فيه؟

بماذا يمكن أن يجيب قائل الشبهة؟ كلامه لا يخلو:

ـ إما أن يقول: الدليل هو **العقل**.

فنقول: إن كنت تقصد بالعقل البدهيات العقلية، فلا تعارض بينها وبين عدم المساواة في بعض الأحكام بين الجنسين، ولا يترتب على إقرار التمييز بين الرجل والمرأة في بعض الأحكام مُحال عقلي.

وإن كنت تقصد العقل بمعنى الأفكار الظنية فأفكارك الظنية ليست معيارًا للكون، وأنت لست محورًا للحقيقة، فلسنا ملزمين باتباع أفكارك!

ـ وإما أن يقول: الدليل هو **العلم التجريبي**.

فنقول: أولًا العلم التجريبي يعتبر محايدًا إزاء الأحكام المعيارية،

كما سبق بيانه.

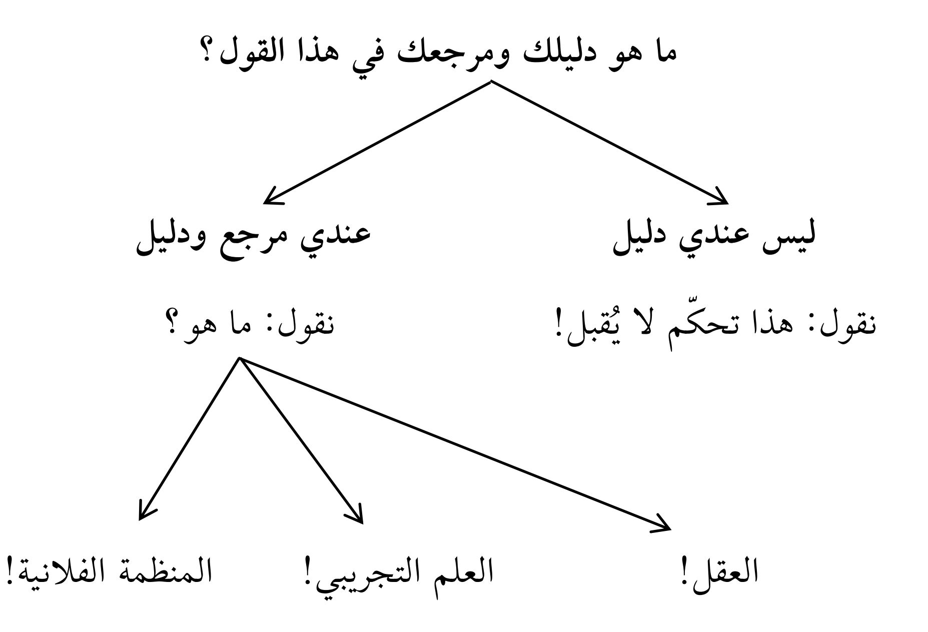
ثانيًا: العلم التجريبي يعتبر دليلًا عليك لا لك، لأنه يثبت الفروق التكوينية والنفسية بين الرجل والمرأة.

ـ وإما أن يقول: الدليل **المنظمة الدولية الفلانية، وأنه رأي العالم أجمع.**

فنقول: أولًا: ليس هذا هو رأي العالم أجمع، لأنني وجميع المسلمين من العالم، وليس هذا رأينا!

ثانيًا: الاحتكام إلى مجرد رأي الأكثرية والأفكار السائدة في العصر مغالطة منطقية تسمى مغالطة: الاحتكام إلى عامة الناس ـ وقد سبق بيانها ـ.

وبهذا يتضح افتقار هذه الجملة إلى المرجعية الصحيحة، والدليل الصحيح فلا تكون مقبولة، وتأمل معي الخريطة الجدلية التالية:

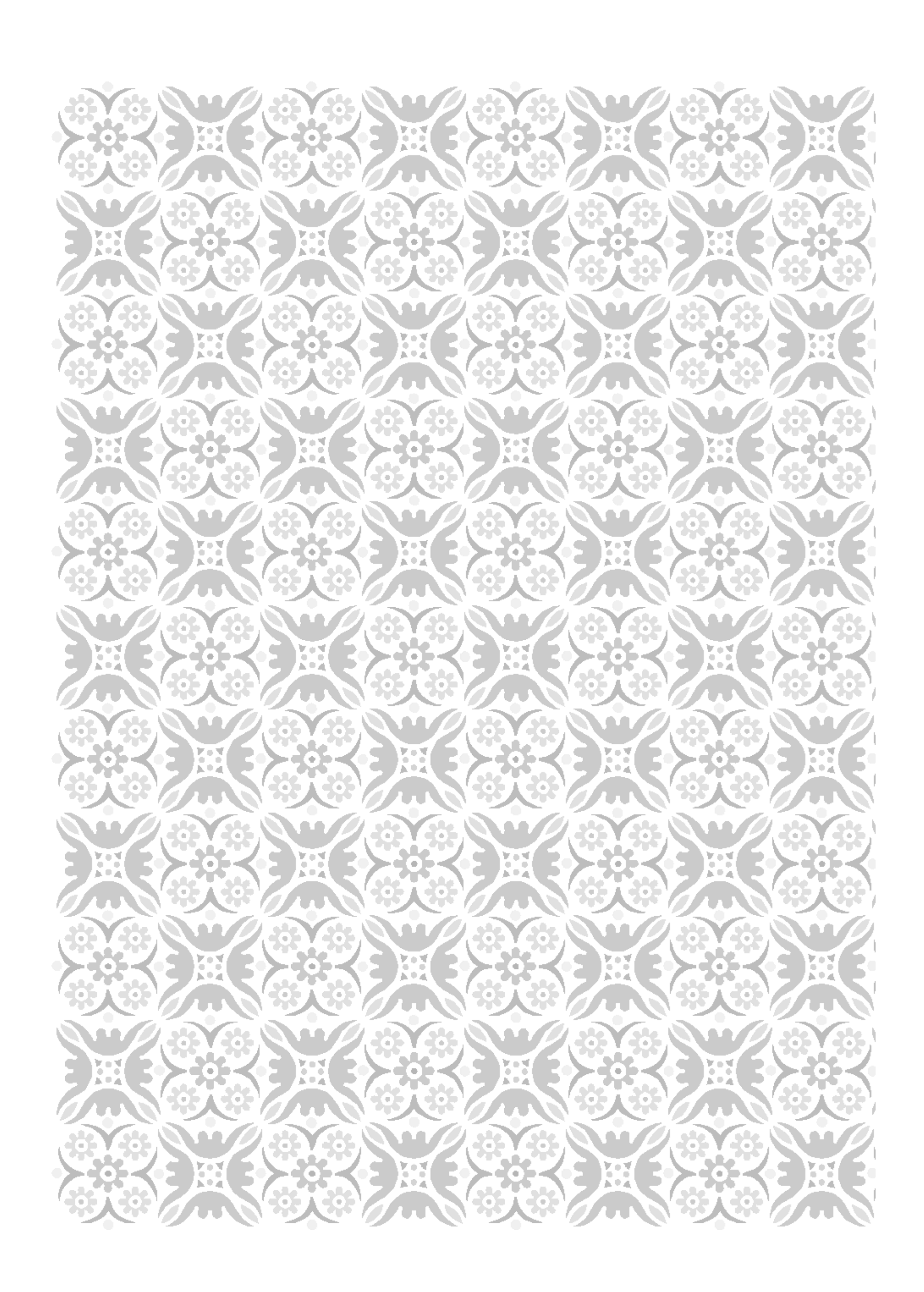




الفصل السادس

شُبُهَاتٌ ورُدُودٌ





بعدما تقرّر ما سبق بيانه من المعالجات التأصيلية للشبهات الفكرية، أحببت أن أختم هذا الكتاب بفصل أتناول فيه عددًا من الشبهات الفكرية المثارة والمنتشرة والرد عليها، لنكسب من ذلك أمرين:

الأول: توضيح مضامين الكتاب، من خلال التطبيق العملي للمعالجات التي تناولناها فيه، فبالمثال يتضح المقال.

الثاني: المساهمة في كشف ونقض هذه الشبهات، لا سيما وأنها قد اشتهرت وانتشرت.

وهنا يجب أن أوضح **نقطة منهجية مهمة**، وهي أن بعض الإخوة الغيورين على الدين ينهون عن الحديث في الشبهات وتفنيدها وينئون عنه، ويقولون: أميتوا الباطل بالسكوت عنه.

وأقول: كلامهم صحيح ونابع من غيرتهم على الدين، ولكنه ليس على إطلاقه، فإن بعض الشبهات قد انتشرت واشتهرت ووصلت إلى الصغير قبل الكبير، وإلى الجاهل قبل المتعلم، فهذه لا تموت بالسكوت عنها، بل ستحيا أكثر، لذلك وجب على المتخصصين الانتهاض لنقضها والتشمير لدفعها وتفنيدها.



المبحث الأول
مُشْكِلَةُ الشَّرّ



هذه المعضلة الفكرية قد شغلت العقل البشري منذ قديم الزمان وتفاوتت فيها الآراء كثيرًا، وهو موضوع وجود الشر في هذا الكون.

وحتى تُنقض هذه الشبهة نسير على الخطوات التي بيناها آنفًا.

۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة:

المقدمة الصغرى	يوجد شر في الكون	ـ
المقدمة الكبرى	لا يستقيم وجود إله كامل القدرة مع وجود الشر	ـ
النتيجة =	[اختلفت من ملة إلى ملة]	ـ

فاختلف الناس في نتائج هاتين المقدمتين اختلافًا كبيرًا، وبيان ذلك باختصار على النحو التالي:

١ ـ الملاحدة:

ذهب الملاحدة إلى أن النتيجة هي عدم الاعتراف بوجود إله!

وأول من أثار هذه المشكلة هو الفيلسوف الإغريقي أبيقور[(١)]، والرد

(١) أبيقور (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق. م)، فيلسوف يوناني أسس لمدرسة فلسفية سميت باسمه هي=

على ذلك يسير ، فإنه يمكن نقض كلامهم بأمرين:

الأول: أن الشر والخير يحتاجان إلى معيار قيمي ، والملحد يفتقد هذا المعيار.

الثاني: لو سلمنا جدلاً أن وجود الشر يدل على عدم وجود الله ، إذن لابد أن يكون وجود الخير يدل على وجود الله تعالى.

والكل يعلم أن الخير في هذا العالم موجود، بل قد يكون أكثر من الشر ، فإذا قلت: إن الشر يدل على عدم وجود الله ، فيلزمك أن تقول: إن الخير يدل على وجود الله.

٢ ـ الربوبيون:

المذهب الربوبي مذهب فكري لا ديني وفلسفي يؤمن بوجود خالق للكون ، وبأن هذه الحقيقة يمكن الوصول إليها باستخدام العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين.

والنتيجة عند الربوبية ترى أن الخالق ليس مسيرًا للكون ، وأنه لا يتدخل في سير العالم الطبيعي بأي شكل من الأشكال ، وإنما تركه يعمل وفقًا لقوانين الطبيعة التي تم تكوينها عندما خلق كل شيء[١].

= المدرسة (الأبيقوريّة) ، وكان غير مؤمنٍ بالمعتقدات الدينية ، وكان يرى أن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم.

انظر: موسوعة أعلام الفلسفة حياتهم آثارهم وفلسفتهم ، روني إيلي ألفا (٥٢/١).

(١) لماذا نحن هنا؟ إسماعيل عرفة (ص ١٢٧).

٣ ـ الثنوية:

الثنوية هي إحدى المعتقدات التي أثّرت فيها هذه المشكلة، ونتيجة مشكلة الشر عندهم هي القول بوجود إلهين اثنين، إله الخير، وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة، وهم أقسام كالمجوس، والزرادشتية، والمانوية، وغيرهم.

٤ ـ المعتزلة:

كذلك من الطوائف التي تأثرت بهذه القضية القدرية المعتزلة، ونتيجة هذه المشكلة عندهم أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، وأن الأمر أُنُف، وأنه سبحانه لم يخلق الشر، بل هو من خلق الإنسان.

وغير ذلك من المعتقدات والمذاهب.

۞ الخطوة الثانية: التثبت من صحة النقل:

إذا نظرنا هنا إلى المقدمة الصغرى نجدها ليست دقيقة، فإنه لا يوجد في الكون شر محض من كل الوجوه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «تحقيق الأمر أن الشر نوعان: شر محض حقيقي من كل وجه، وشر نسبي إضافي من وجه دون وجه، فالأول لا يدخل في الوجود، إذ لو دخل في الوجود لم يكن شرًّا محضًا، والثاني هو الذي

يدخل في الوجود»[1].

۞ الخطوة الثالثة: طلب الدليل الصحيح:

نسأل من يطرح هذه الشبهة: ما هو الدليل على صحة المقدمة الكبرى؟

فنحن نمنع هذه المقدمة، ونقول: لا دليل عليها.

والموقف الصحيح من هذه القضية: أننا نعتقد أن الله ﷻ خالق كل شيء، وأنه خلق الخلق وأفعالهم، كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

إذن لماذا وُجد الشر في هذا الكون؟

للجواب على هذه الإشكالية يجب استيعاب سبعة أصولٍ مهمة، من فهمها حق الفهم زالت عنه هذه الإشكالية، واضمحلت إن شاء الله:

※ الأصل الأول: أن الله ﷻ عدل، حكيم، رحيم، لا يظلم أحدًا أبدًا، قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

فالعدل من الصفات الإلهيـة العظيمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وقال الرسول ﷺ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ ﷻ أَنَّهُ قالَ: «يا عِبَادِي

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (٢/٥١٥).

إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا»[1].

ومن عدل الله ﷻ عدم مجازاة الناس بمجرّد علمه ـ تعالى ـ الأزلي بأعمالهم، فالله ـ تعالى ـ يعلم ما سيقع من عباده من الأفعال والأقوال، ولكنّه لم يحاسبهم على مجرّد علمه الأزلي قبل خلقهم، بل خلقهم وتركهم يعملون من خيرٍ أو شرٍ، وعلى ذلك سوف يحاسبهم في الآخرة.

* **الأصل الثاني: سعة علم الله تعالى ومحدودية علم البشر،** فالبشر كلهم متيقنون بأن الله تعالى قد وسع علمه كل شيء، لأنهم يكتشفون كل يوم شيئًا جديدًا كان خافيًا عليهم.

فنحن البشر نجهل حقيقة الأمور، خير هي أم شر، لذلك قال الله ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]،

ولما خلق الله آدم قال الملائكة له: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فماذا قال الله ﷻ لهم؟ قال: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

فإذا رأيت مصيبة، أو مرضًا، ونحوها فلماذا تجزم أنها شر أصلًا؟ ألا يمكن أن يترتب عليها من المصالح، أضعاف أضعاف ما تراه من الشر، ما يدريك؟

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

ومَثَلُ من يعترض على أقدار الله كمثل طفل صغير دخل معمل عالم كيمائي كبير، فرأى الأجهزة والقوارير والأدخنة المتصاعدة فظن أن هذا العالم يصنع شرًا ما!

ولله عز وجل المثل الأعلى، فعلمنا لا يساوي شيئًا أمام علم الله تعالى، وفي حديث موسى والخضر عليهما السلام: «فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلَّا كنقرة هذا العصفور في البحر»(١).

* **الأصل الثالث: أننا مملوكون لله ﷻ**، فإنه هو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم، فنحن ملكه، والمُتصرّفُ في ملكه ما ظَلَم، وليس لأحد الحق في أن يسائله عن هذا التصرف، فالله سبحانه ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ونحن عندنا ثقة في الله سبحانه أنه حكيم، عدل رحيم، لا يظلم أحدًا أبدًا، ولكننا مع ذلك ملك لله يفعل فينا ما يشاء، ولذلك إذا أُصبنا بمصيبة نقول: **إنا لله**، أي: نحن مملوكون لله تعالى.

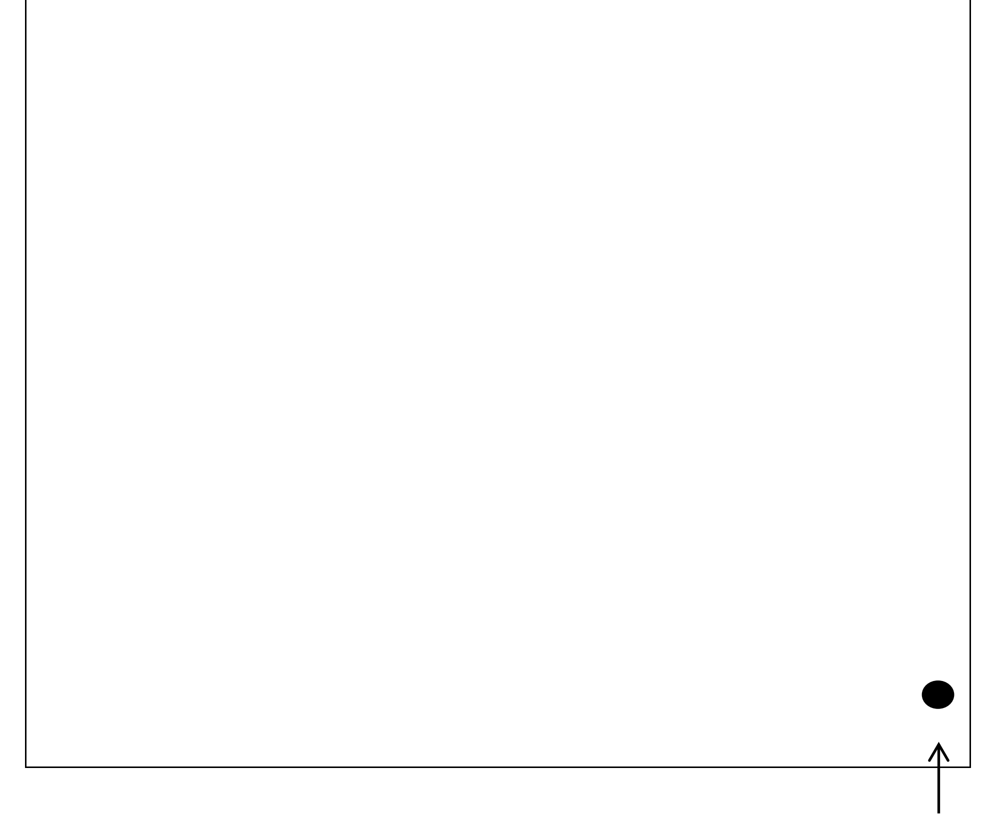
* **الأصل الرابع: أن نعلم أن هذه الدنيا دار ممر لا دار مقر**، وأننا إلى الله راجعون، وأن وجود الإنسان في هذه الدنيا مؤقت ولا يُخلد في هذه الدنيا أحد.

ولا يجزع المرء عند مصائب الدنيا وشرورها إلا بسبب عدم استيعابه

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٤٣٨٥).

حقارة الدنيا وضآلتها بالنسبة إلى الآخرة، فالدنيا أصغر من الآخرة بمصائبها وبمتعها أيضًا، قال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ولعلي أُقرِّب الفكرة بشكل توضيحي تشبيهي لا حقيقي، فإن حقيقة مقدار الآخرة لا يعلمها إلا الله ﷻ، وذلك في الصورة التالية:



هل من العقل أن يكون اهتمام الإنسان منحصرًا في هذه النقطة الضئيلة فقط، ويترك هذه المساحة الكبيرة؟!

هذا حال من يحصر اهتماماته وانفعالاته في حدود هذه الدنيا، يضيق ويحزن لمصائبها غاية الحزن، ويتناسى المساحة الشاسعة للدار الآخرة!

وهذان الأصلان (الثالث والرابع) قد أرشدنا إليهما الله ﷻ، فقد أمرنا الله ﷻ بذِكْرٍ نقوله عند المصائب، وهو ما ورد في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

فالشق الأول من الذكر **(إنا لله)** يُذَكِّرنا أننا مملوكون لله تعالى، حتى لا نجزع من المصيبة.

والشق الثاني **(وإنا إليه راجعون)** يذكرنا بأن هذه الدنيا صغيرة ومؤقتة لا تدوم فيها المصيبة.

فمن أتى بهذا الذكر عند المصيبة كما أمره الله سبحانه واستشعر معناه هانت عليه المصيبة واضمحلّ أثرها، أما الماديون الذين لا يؤمنون باليوم الآخر فهؤلاء لا سلوى لهم، والمصيبة الدنيوية على رؤوسهم موجعة وصغار المصائبِ عندهم فاجعة! لأنهم لا يعرفون إلا هذه الحياة؛ فأدنى مصيبة تصيبهم بالجزع، ولذلك تكثر في أوساطهم حالات الانتحار.

قال الدكتور سامي عامري: «إن الحياة الغربية المفرغة من المعنى الشائق والمذعورة بين جدران الميلاد والوفاة تضج من كل قرصة ألم وتذعر من كل لسعة أنين، فليس في الوجع والأنة غير خسارة لدقائق من أيام فانية تسير بالإنسان إلى حتفه، ولذلك فإن الهروب من الأذى بأنواعه هدف في ذاته، ولا يتوصّل به إلى قيمة عليا، فالحياة في ذاتها هي الغاية، وما الشرّ

غير حَدَثٍ عَرَضِيٍّ في كون ليس إلا مادة وطاقة في حركة دؤوبة عمياء»[1].

❊ الأصل الخامس: أن نعم الحياة ومحاسنها لا يمكن أن تظهر بدون شر.

فبضدّها تتبين الأشياء، فالجوع شر، والإرهاق والتعب شر، لكن هل يمكنك أن تتنعم بلقمة طعام وتهنأ بها بدون جوع؟ وهل يمكن أن تهنأ بالراحة دون تعب؟ وهل كنا سنعرف الجمال بدون قبح؟ وهل كنا سنعرف العافية بدون مرض؟ لا يمكن، بل هناك كثير من الأخلاق، والقيم لا يمكن أن تخرج بدون وجود الشر في الكون، فالتوبة مثلًا والإنابة لله لا يمكن أن تُتصور بدون ذنب، والصبر لا يُتصور بدون مصيبة، والشجاعة والإقدام لا تُتصور بدون وجود حرب مثلًا، وكذلك إغاثة الملهوف، وغيرها من الأخلاق.

قال أبو عثمان الجاحظ: «اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلىٰ انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة.

ولو كان الشر صرفًا هلك الخلق، أو كان الخير محضًا سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة، ومتىٰ ذهب التخيير ذهب التمييز، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم، ولم يكن علم، ولا يُعرف باب التبيّن، ولا دفع مضرة، ولا اجتلاب منفعة، ولا صبر علىٰ مكروهٍ ولا شكرٌ علىٰ محبوب، ولا تفاضل في بيان، ولا تنافس في درجة،

(١) مشكلة الشر ووجود الله، للدكتور سامي عامري (ص ٢٥).

وبطلّت فرحة الظّفر وعز الغلبة، ولم يكن على ظهرها محق يجد عز الحق، ومبطِل يجد ذلة الباطل، وموقن يجد برد اليقين، وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوُجوم؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماع، ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس، ومن جهل اليأس جهل الأمن»(١).

* **الأصل السادس: لا وجود لحرية اختيار الإنسان بدون شر**، فإذا مَنَع الله سبحانه الشر في هذه الدنيا فهذا معناه أن الإنسان سيكون مجبرًا لا مخيرًا.

فكثير من الشرور التي نراها في هذا الكون هي في الحقيقة شرور أخلاقية، وليست شرورًا مجانية.

* **الأصل السابع: وجودنا في هذه الحياة للابتلاء والاختبار**، فكل ما نواجهه في هذه الحياة من شر أو خير فهو ابتلاء واختبار لنا، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، قال الله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالبلاء يكون بالشر ويكون بالخير، ليس فقط بالشر، بل الخير الذي أنت فيه يعدُّ نوعًا من البلاء، وقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب الرومي

(١) كتاب الحيوان، للجاحظ (٢٠٤/١).

ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سَرَّاء شَكَر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صَبَر فكان خيرًا له»[(١)].

ومن رحمة الله سبحانه أنه يبتلي عباده بالشرور على قدر دينهم، وقوة إيمانهم، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُصِبْ منه»[(٢)].

وفي صحيح البخاري أيضًا عن عائشة ﷺ قالت: «ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ»[(٣)].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة»[(٤)].

إذا تأملنا هذه الأصول السبعة سنجد بطلان المقدمة الكبرى، وتبطل بعدها وتنتقض الشبهة كلها بحمد الله تعالى.

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).
(٢) رواه البخاري (٥٣٢١).
(٣) رواه البخاري (٥٦٤٦).
(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وقد بوّب البخاري في صحيحه في كتاب المرضى: باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

المبحث الثاني
تَعَدُّدُ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ



يستشكل بعض الناس زواج النبي ﷺ من عدد كبير من النساء، وأصل هذا الاستشكال مأخوذ من المستشرقين الطاعنين في النبي ﷺ.

۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة وتحليلها:

المقدمة الصغرى	النبي ﷺ تزوج عدداً كبيراً من النساء	هذا صحيح
المقدمة الكبرى	الذي يتزوج عدداً كبيراً من النساء رجل سيء!	هذا يحتاج دليلًا!
النتيجة =	النبي ﷺ رجل سيء ـ وحاشاه ـ	هذا باطل

وفي هذه الشبهة ركوب لمغالطة الإسقاط التاريخي، وإهدار السياق التاريخي، فزواج الرجل من عدد من النساء لا يُعتبر أمرًا معيبًا أو غير أخلاقي، وإلا لو كان كذلك لبادر أعداء النبي ﷺ إلى التشنيع عليه، فلما لم يفعلوا ذلك فذلك دليل على أن هذا الفعل مرضي مقبول في تلك الحقبة التاريخية، وقد سبق معنا هذا المعنى في الكتاب.

۞ الخطوة الثانية: التثبت من صحة النقل:

لا إشكال في نقل المقدمة الصغرى، فقد ثبت أن النبي ﷺ تزوج عدداً كبيراً من النساء.

۞ الخطوة الثالثة: طلب الدليل:

نقول لصاحب الشبهة: ما هو الدليل على أن الذي يتزوج عدداً كبيراً من النساء رجل سيء؟ من قال ذلك؟ وبأي حجة؟

فإنه لا يُسلّم أن الذي يتزوج عدداً كبيراً من النساء يعدُّ سيئًا، والنبي ﷺ لم يتزوَّج هذا العدد لمجرَّد التكثّر من النساء، أو طمعًا في متع الدنيا فقط، لا، ويدل على ذلك عدة أمور:

أولاً: أن النبي ﷺ عاش خمسًا وعشرين سنة في أول حياته في غاية العفة[١]، فلم يقرب النبي ﷺ امرأة قط لا في حلال ولا في حرام بإجماع الناس قاطبة، فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوج امرأة وهي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[٢] وكانت أكبر منه سنًا[٣].

ثانيًا: استمر عليه الصلاة والسلام مع خديجة رضي الله عنها ولم يتزوج عليها طيلة خمسٍ وعشرين سنة، وذلك مع قدرته عليه الصلاة والسلام على الزواج ومع إمكانه وعدم ممانعة المجتمع في ذلك الوقت من الزواج، ورغم ذلك لم يتزوج عليها، حتى ماتت رضي الله عنها.

---

(١) انظر: كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، للإمام محمد بن إسحاق (سيرة ابن إسحاق (ص ٥٨).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١٥٢/١).

(٣) قيل: كانت بنت أربعين سنة، وقيل: ثمان وعشرين، وقيل: خمس وثلاثين.

ثالثًا: بعد سنتين تقريباً من وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تزوج سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وكانت امرأة كبيرة أيضاً، وكان عمر النبي ﷺ قد تجاوز الخمسين.

رابعًا: لم يتزوج النبي ﷺ بكراً قط إلا عائشة رضي الله عنها، رغم أن قريشًا قد عرضت عليه أن يختار أجمل فتيات قريش ليزوجوه.

فتبين مما سبق أن النبي ﷺ ليس باحثاً عن لذته وشهوته فقط، ولم يخفَ ذلك حتى على غير المسلمين، وقد شهد بذلك بعض المنصفين منهم.

إذا تقرر ما سبق تبين بطلان هذه الشبهة.

لكن لماذا تزوج النبي ﷺ إذن هذا العدد الكبير من النساء؟ وما الحكمة من ذلك؟

الجواب:

أولاً: هذا العدد من زوجات النبي ﷺ كان ضرورياً لنقل الدين لنا.

فالنبي ﷺ قدوتنا وأسوتنا كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهو أسوتنا عليه الصلاة والسلام في حياته الخارجية خارج بيته، وفي حياته الداخلية داخل بيته.

أما في حياته الخارجية فقد تكفّل لنا جمع كبير جدًّا في نقل سنته عليه الصلاة والسلام وأقواله، ولكن دقائق الأمور وما يكون بين الرجل وزوجته، ودقائق ما يكون داخل بيت الإنسان، من سينقلها لنا إلا زوجاته ﷺ؟ ولا تكفي امرأة أو

امرأتان لنقل هذا الكم الكبير من هذه السنن النبوية العظيمة، فاقتضت حكمة الله أن يتزوج النبي ﷺ هذا العدد ليتمكنوا من نقل هديه ﷺ داخل بيته كأننا نراه، وقد أحسَنَّ في ذلك.

ثانيًا: تعدد زوجات النبي ﷺ دليل من دلائل النبوة، ومن دلائل صدق النبي ﷺ، يُضاف إلى الأدلة العظيمة على صدقه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وذلك لأن الإنسان قد يستطيع أن يكذب ويتصنّع على بعض الناس خارج بيته ولو مدة طويلة، ولكن لا يستطيع أن يكذب ويتصنّع داخل بيته دائماً في كل وقت.

والنبي ﷺ على كثرة زوجاته وتنوعهن واختلاف طبائعهن إلا أنهن أجمعن على حُسن خلقه عليه الصلاة والسلام وعلى صدقه، وطيب معشره، وقد خيرهن عليه الصلاة والسلام بينه وبين الدنيا فاخترنه هو.

ثالثًا: النبي ﷺ قدوة للجميع، في جميع شؤون حياته، ومن تلك الشؤون الحياة الزوجية، فالنبي ﷺ قدوة للأزواج مهما اختلفت طبائع الزوجات، فالزوجات مختلفات الطبائع كما لا يخفى، فكيف يكون النبي ﷺ قدوة لهم إذا كانت عنده زوجة واحدة ذات طبع واحد!؟ لذلك اقتضت حكمة الله سبحانه أن يتزوج النبي ﷺ الكبيرة والصغيرة، والبكر والثيب، وتزوج الأرملة والمطلقة، وتزوج الغيرى، فكل واحدة من زوجاته عليه الصلاة والسلام كانت ذات طبع مختلف، وكان النبي ﷺ يُحسن المعشر مع الجميع، ليكون قدوة للجميع، فيجد كل زوج في النبي ﷺ قدوة له مهما كان طبع زوجته.

رابعًا: كان أقرب الناس للنبي ﷺ وزراؤه الأربعة، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ، فصاهرهم النبي ﷺ، فتزوج بنت أبي بكر وبنت عمر وزوج بناته لعلي وعثمان ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ، مما قرّبهم للنبي ﷺ أكثر، وسهّل دخولهم عليه لتحقيق مصالح المسلمين.

خامسًا: تزوج النبي ﷺ من عدة قبائل عربية، بل تزوج حتى من بني إسرائيل وهي صفية رضي الله عنها وأهلها من اليهود، ولا يخفى ما في هذا من حكمة تألف قلوب الناس وتقريبهم للنبي ﷺ ودينه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عشر حكم في تعدد زوجات النبي ﷺ، فقال: «والذي تحصّل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه تقدمت الإشارة إلى بعضها:

أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: للزيادة في تألفهم لذلك.

رابعها: للزيادة في التكليف، حيث كُلِّف أن لا يشغله ما حبب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال، لأن أكثر

ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله.

سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها: ما تقدم مبسوطًا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ.

تاسعها وعاشرها: ما تقدم نقله عن صاحب الشفاء من تحصينهن والقيام بحقوقهن والله أعلم»[(١)].

هذه بعض الحكم من كثرة زوجات النبي ﷺ، وأجزم لو أن المرء أعمل ذهنه أكثر لظهرت له حكم أخرى.

فسقطت هذه الشبهة بحمد الله تعالى.

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/١١٥).

المبحث الثالث
حَدُّ الرِّدَّةِ



من الشبهات الشهيرة التي تُثار دائمًا شبهة وجود حد الردة في الشريعة الإسلامية ، وحتى ننقض هذه الشبهة نتبع الخطوات التي تقدمت.

۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة وتحليلها:

المقدمة الصغرى	يوجد حد ردة في الإسلام	هذا صحيح
المقدمة الكبرى	وجود عقوبة إعدام لترك معتقد ما خطأ	هذا يحتاج دليلًا!
النتيجة =	الإسلام فيه خطأ!	هذا باطل

۞ الخطوة الثانية: التثبت من صحة النقل:

لا إشكال في المقدمة الصغرى ، فحد الردة حكم شرعي أجمع عليه العلماء منذ عهد النبي ﷺ ، وهو أن المسلم إذا ارتد فإنه يُستتاب ، ويُوضّح له الدين وتُزال عنه الشبهة ، فإن رجع إلى الإسلام فالحمد لله ، وإن لم يرجع إلى الإسلام فإن على ولي الأمر ـ وليس أفراد الناس ـ أن يقيم عليه حد الردة.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «من ارتد عن دينه حل دمه ، وضُربت عنقه ، والأمة مجتمعة على ذلك»[١].

(١) التمهيد ، لابن عبدالبر (٥/٣٠٦).

وقال الموفق ابن قدامة ﵀: «وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين، وروي ذلك عن أبي بكر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم، ولم يُنكَر ذلك فكان إجماعًا»[(١)].

ولم يُعرف طوال التاريخ الإسلامي من اعترض على هذا الحد، حتى نبتت نابتة منكري هذا الحد في بدايات القرن الماضي فقط، مع الثقافات الواردة إلى بلاد المسلمين.

ولعل أول من أعلن نفي حد الردة هو الطبيب محمد توفيق صدقي[(٢)] وذلك في مقالة صحفية له نُشرت في مجلة المنار سنة ١٩٠٦م بعنوان: «الإسلام هو القرآن وحده» قال في مطلعها: «هذا عنوان مقال لي جديد، أفصح فيه عن رأي لي جديد أبديه لعلماء المسلمين..» إلى أن قال: «قتل المرتد، إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد، بل الإنسان حر في أن يعتقد ما شاء ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]»[(٣)].

واستدلاله بهذه الآية خطأ محض، فليس المقصود بالآية تخيير الناس بين الكفر والإيمان! وإنما جاءت على سبيل التهديد والوعيد.

---

(١) المغني، لابن قدامة (١٢/٢٦٤).

(٢) محمد توفيق صدقي (١٨٨١ ـ ١٩٢٠ م) طبيب مصري، وُلد سنة ١٢٩٨ هـ = ١٨٨١م، «أولع بالأبحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية، فنشر مقالات كثيرة في المجلات والجرائد» توفي سنة ١٣٣٨ هـ = ١٩٢٠م.
انظر: الأعلام، للزركلي (٦/٦٥).

(٣) مجلة المنار، السنة التاسعة، الجزء السابع، عدد سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م (ص ٥٢٣).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي: أرصدنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي: سورها»[1].

ثم تتابع الناس بعد ذلك على القول بهذا القول الشاذ المخالف للإجماع[2]، ويسوقون للاحتجاج على ذلك استدلالات ضعيفة، ويظنون أنها تقف في وجه أدلة قتل المرتد القوية.

وهذه الأدلة لو كانت صحيحة فكيف خفيت على علماء المسلمين طيلة القرون السابقة حتى تتابعوا على القول بوجوب قتل المرتد؟!

لكن حقيقة مدار الأمر ليس على الأدلة الشرعية، وإنما هو على أفكار غربية هيمنت على عقول الناس فأثّرت عليهم وتمكنت منهم، ويرون أنها صواب لا خطأ فيها، ويرفضون كل ما يعارضها حتى لو كان كلام الله أو كلام رسوله ﷺ!

۞ الخطوة الثالثة: طلب الدليل:

المقدمة الكبرى في هذه الشبهة تقول: وجود عقوبة إعدام لترك معتقد ما خطأ.

ونسأل سؤالنا المعتاد: ما هو الدليل على هذا الكلام؟ وما الذي يجعلني

(١) تفسير ابن كثير (٥/١٥٤).
(٢) انظر: الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، للدكتور إبراهيم الحقيل (ص ٣٢٩ ـ ٣٣٤).

ألتزم بالأفكار الغربية والمعايير الوافدة؟!

وما الذي أعطى لهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ـ مثلًا ـ الإلزامية بالنسبة لي؟

والجواب: لا إلزامية لهذه المعايير الوضعية عليّ، كل ما في الأمر أنها أفكار ومعايير لفئة من البشر، ليس لهم أدنى قدسية.

فإذا عُدم الدليل المرجعي المعياري فلا يقوم لهذه الشبهة قائمة، والحمد لله.

ومن نافلة القول أن نعلم أن كثيرًا من دول العالم اليوم قد حَدَّدت الإعدام عقوبةً للخيانة العُظمى، وقد يُحكم على الإنسان بالخيانة العظمى ويُقتل لأنه شارك فيما يعتبرونه خيانة للوطن ونحو ذلك، ولم يعترض على هذا المعترضون على حدِّ الردَّة!.

فالولايات المتحدة الأمريكية ـ مثلًا ـ تفرض عقوبة الإعدام على عدة جرائم، منها: **قتل رئيس الولايات المتحدة، والخيانة العظمى**، وتشمل الفرار إلى العدو في أثناء الحرب، وإفشاء أسرار الدولة، **والتجسس، وبيع المخدرات**، وخاصة من تسبب بوفاة شخص نتيجة تناول جرعة زائدة، **ومحاولة قتل المحلفين أو أحد الشهود، واختطاف الطائرات** في بعض الولايات، بالإضافة إلى **بعض جرائم القتل**(١).



(١) الموقع الإخباري RT، https://arabic.rt.com/news/

المبحث الرابع

زَوَاجُ النَّبِيّ ﷺ مِنْ أمّ المؤمِنينَ عَائِشَة رضي الله عنها



۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة:

المقدمة الصغرى	النبي ﷺ تزوج عائشة وهي صغيرة	هذا صحيح
المقدمة الكبرى	زواج الرجل من بنت صغيرة خطأ	هذا يحتاج دليلًا!
النتيجة =	النبي ﷺ مخطئ! وحاشاه	هذا باطل

وهنا أيضًا ركوب لمغالطة إهدار السياق التاريخي، فتنزيل فعل النبي ﷺ الذي حصل في سياق تاريخي معين على سياقنا التاريخي الرافض لهذه الممارسة يعتبر مغالطة وتمويهًا وإهدارًا لقيمة السياق، وشاهد ذلك أن أعداء النبي ﷺ كأبي جهل ومن معه لم يعيبوا على النبي ﷺ هذا الفعل، ولو وجدوا في هذا الزواج منقصةً ولو يسيرةً لما سكتوا، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

۞ الخطوة الثانية: التثبت من صحة النقل:

النقل صحيح، فقد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأُدخلت عليه وهي بنت تسع[١].

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٨٩٤)، ومسلم (١٤٢٢).

۞ الخطوة الثالثة: طلب الدليل:

نسأل صاحب الشبهة، ما هو الدليل على أن فعل النبي ﷺ خطأ؟

ولو أردنا أن نساعده في الإجابة ونحصر أوجه الخطأ المحتملة في ذلك سنقول: هل هو خطأ شرعي، أم هو خطأ عقلي، أو خطأ قانوني، أو عرفي أو خطأ صحي؟

أما من **الناحية الشرعية**: فغير وارد أبداً أن يكون خطأ، لأن النبي ﷺ ناقل الشريعة عن رب العالمين ﷻ.

أما من **الناحية العقلية**: فغير وارد أيضًا أن يكون خطأ، لأنه لم يخالف شيئًا من البدهيات.

أما من **الناحية القانونية**، فلا إشكال أيضًا، لأن القانون أيام النبي ﷺ كان هو الشريعة، وحتى القوانين المعاصرة ليست كلها تمنع من زواج الصغيرات، فهناك دول تسمح بزواج من عندها ١٢ و ١٣ سنة، وهناك من يحدد أقل سن للزواج بسن ١٤ و ١٥ سنة.

أما من **الناحية الصحية**، فلا إِشكال أيضًا، فإن البنت إذا بلغت وأصبحت مستعدة، فلا إشكال في زواجها، أضف إلى ذلك أن البنات كن يَكبرن بسرعة، خصوصاً في بلاد العرب، فعامل المناخ له أثر في نضوج المرأة سريعًا، قال الداودي: وكانت عائشة قد شبت شبابًا حسنًا[(١)]، وهذا يدل على أنها كانت في سنٍّ مقبولة للزواج.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٤/٥٧٣).

أما من **الناحية العرفية**، فلا يوجد في العرف ما يمنع أيضًا، وبرهان ذلك أن عائشة رضي الله عنها قد خُطبت قبل النبي عليه الصلاة والسلام، فعن عبد الله بن أبي مليكة قال: خطب رسول الله ﷺ عائشة إلى أبي بكر الصديق فقال: يا رسول الله، إني كنت أعطيتها مطْعِمًا لابنه جبير فدعني حتى أسلها منهم، فاستسلّها منهم، فطلّقها فتزوجها رسول الله ﷺ[1].

قال الإمام ابن عبدالبر رحمه الله: «وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له»[2].

فلما عرفنا أنه لا مخالفة عرفية ولا قانونية ولا عقلية ولا شرعية ولا صحية تبين لنا أن فعل النبي ﷺ ليس خطأً أصلاً.

أضف إلى ذلك أن حياة النبي ﷺ مع أم المؤمنين رضي الله عنها كانت حياة مثالية غاية في المتعة لها وله رضي الله عنها و ﷺ فقد كانا زوجين سعيدين، فقد كان النبي ﷺ يسابقها ويلاعبها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتيك»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في، فيشرب، وأتعرّق العَرْق[4] وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في[5].

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد (١٠/٥٩).
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر (٤/١٨٨١).
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٠/١٤٤)، وابن ماجه (١٩٧٩)، وصححه محققو المسند.
(٤) العَرْق هو: العظم الذي عليه اللحم.
(٥) رواه مسلم (٣٠٠).

فانظر إلى هذا الرقي في التعامل النبوي مع زوجته السعيدة المحبة له.

❊ تنبيه مهم:

دفاعنا عن فعل النبي ﷺ وبيان عدم خطئه لا يعني أننا ندعو إلى زواج الصغيرات في هذا العصر كما يروج لذلك الشانئون، فهذه المسألة تكتنفها أمور عرفية ومصلحية كثيرة.



المبحث الخامس
الحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ قَسْوَةٌ أمْ رَحْمَةٌ؟



من الشبهات المثارة كذلك حول الإسلام شبهة القول بقسوة الحدود الشرعية.

۞ الخطوة الأولى: تفكيك الشبهة وتحليلها:

المقدمة الصغرى	يوجد حدود (وفيها عقوبات شديدة) في الإسلام	هذا يحتاج إثباتًا!
المقدمة الكبرى	العقوبات الشديدة خطأ	هذا يحتاج دليلًا!
النتيجة =	الإسلام فيه خطأ!	هذا باطل

۞ الخطوة الثانية: التثبت من النقل:

هناك حدود في الإسلام نعم، لكن الحكم عليها بالشدة حكم غير دقيق، بل هو حكم سطحي ينظر للأمر من زاوية واحدة فقط، أما إذا نظرت نظرة شمولية، فنظرت في مصلحة المجتمع والفرد فلن يُحكم عليها بالشدة، وهذا ما سأبينه إن شاء الله.

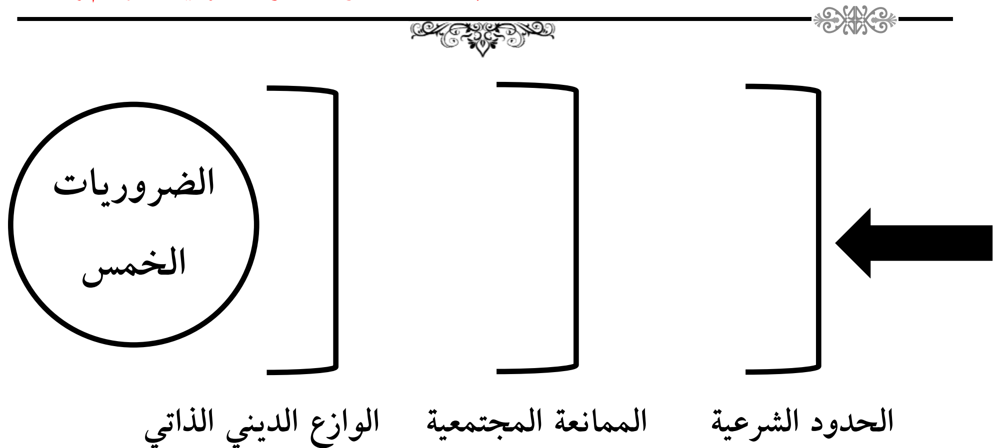
لن نستطيع أن نفهم حكمة هذه الحدود الشرعية وحقيقتها بشكل صحيح

قبل أن نفهم ضروريات الحياة الخمس التي جاءت كل الشرائع بالمحافظة عليها، والتي لا يمكن أن تستمر حياة الإنسان بدونها وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل أو العرض، والمال.

ولذلك لا يُستغرب أن تكون الحدود الشرعية كلها بالإضافة إلى القصاص قد جاءت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، كما يظهر في الجدول التالي:

الضروريات الخمس	الحدود الشرعية
الدين	حد الردة
النفس	القصاص
العقل	حد شرب الخمر
النسل والعرض	حد الزنى وحد القذف
المال	حد السرقة

فلن تكون المجتمعات مجتمعات صالحة ما لم تحافظ على هذه الضروريات الخمس، وقد أولاها الإسلام عناية عظيمة، وجعل دونها ثلاثة أسوار: سور الحدود الشرعية، وسور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الممانعة المجتمعية)، وسور الوازع الديني، كما في الشكل التالي:



فالحدود الشرعية تزجر الناس عن المساس بالضروريات الخمس ، فإذا نُحِّيَت هذه الحدود فسيبقى بعدها السور الثاني وهو **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، الذي يشكّل ممانعة مجتمعية ووعيًا مجتمعيًا عامًا يجعل من يفكر بالمساس بهذه الضرورية يخاف من الناس ويخجل منهم ، فإن أُزيل هذا السور عبر محاربة هذه الشعيرة العظيمة سيبقى لنا السور الأخير وهو **الوازع الديني الذاتي** لكل فرد ، فإذا ما فُقد هذا الوازع فستكون هذه الضروريات مستباحة ، ولا تسل بعد ذلك عن الإشكالات والمشاكل والمصائب الدينية والدنيوية التي ستحل من وراء استباحة هذه الأمور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إذا تقرر ذلك فاعلم أن هناك تهويلًا في موضوع الحدود الشرعية ، وكأن الشريعة متعطشة إلى الدماء والقسوة ، وهذا التصور مبني على الجهل بحقيقة الأحكام الشرعية المتعلقة بالحدود الشرعية ، التي تسبقها وتساوقها وتلحقها .

فهناك مسافة كبيرة بين فعل المعصية وإيقاع العقوبة ، وهناك وادٍ كبير قبل أن يُقام الحد على الإنسان ، في هذا الوادي يسقط عدد كبير ممن فعل هذه الجريمة فلا يُقام عليه الحد ، وبيان ذلك على النحو الآتي:

قبل المعصية		١	٢	٣	٤	٥	٦		بعد إقامة الحد
يسبق فعل المعصية تدابير تحول دون فعلها، مثل: ١. سد الذرائع عن الوقوع في المعصية. ٢. تيسير الحلال المغني عن الحرام	فعل المعصية	المضطر لا يُقام عليه الحد	الجاهل لا يُقام عليه الحد	إذا فعل المعصية سرًّا فإنه يؤمر بالتوبة وعدم فضح نفسه مالم تصل للحاكم	إثبات المعصية ليس سهلاً	درء الحدود بالشبهات	لو تراجع المقر بعد إقراره لا يُقام عليه الحد	إقامة الحد	يغفر ذنبه ولا يجوز سبّه ولا تعييره

۞ أولاً: التدابير قبل المعصية:

يسبق فعل المعصية تدابير تحول دون فعلها، ومنها:

١ ـ سد الذرائع عن الوقوع في المعصية، فقد سعت الشريعة لسد الذرائع الموصلة إلى المحرمات، فحرمت الخلوة ومصافحة المرأة الأجنبية ونحوها سدًا لذريعة الوقوع في الزنى، وهكذا.

٢ ـ تيسير الحلال المغني عن الحرام، وفتح أبوابه، فقد حثت الشريعة الإسلامية على تيسير أمور الحلال، كالحث على العمل المغني عن السرقة، والحث على الزواج المغني عن الزنى، وهكذا.

۞ ثانيًا: لا حد على مضطر:

إذا اضطر الإنسان إلى الوقوع في المعصية، فلا يُقام عليه الحد، فعن أبي الضحى، قال: «جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: إني زنيت، فرددها حتى أقرت أو شهدت أربع مرات، ثم أمر برجمها، فقال له علي: سلها ما زناها فلعل لها عذرا؟ فسألها، فقالت: إني خرجت في إبل أهلي، ولنا خليط[1]، فخرج في إبله فحملت معي ماء، ولم يكن في إبلي لبن، وحمل خليطي ماء، ومعه في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتى أمكّنه من نفسي، فأبيت، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته، فقال علي: الله أكبر، أرى لها عذرًا، ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فخلى سبيلها»[2].

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن غلمة لأبيه عبد الرحمن بن حاطب سرقوا بعيرًا، فانتحروه، فوجد عندهم جلده، ورأسه، فرفع أمرهم إلى عمر بن الخطاب فأمر بقطعهم، فمكثوا ساعة، وما نرى إلا أن قد فرغ من قطعهم، ثم قال عمر: علي بهم، ثم قال لعبد الرحمن: والله، إني لأراك تستعملهم، ثم تجيعهم، وتسيء إليهم، حتى لو وجدوا ما حرم الله عليهم، لحل لهم، ثم قال لصاحب البعير: كم كنت تعطى لبعيرك؟ قال: أربع مائة درهم، قال لعبد الرحمن: قم فاغرم لهم ثمان مائة درهم[3].

(١) هو الشريك في رعاية الإبل.

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/٩٦)، وبنحوه رواه عبدالرزاق في المصنف (١٣٦٥٤)، وبنحوه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٦٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/٣٤١).

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٨٩٧٨)، قال الإمام الشافعي ﷺ في كتاب الأم (٨/٦٤١):=

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لا يقطع في عذق، ولا في عام سَنَة[1].

قال السعدي: سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: العذق النخلة وعام سنة المجاعة، فقلت لأحمد: تقول به؟ فقال: إي لعمري، قلت: إن سرق في مجاعة لا تقطعه؟ فقال: لا إذا حملته الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة[2].

بل رُوي أنه لا يُقام الحد على من سرق طعامًا، فعن الحسن قال: أتي النبي ﷺ بسارق سرق طعاما فلم يقطعه قال سفيان: وهو الذي يفسد من نهاره ليس له بقاء الثريد واللحم وما أشبهه فليس فيه قطع، ولكن يعزر، وإذا كانت الثمرة في شجرتها فليس فيه قطع ولكن يعزر[3].

قال الشيخ علي القاري ﷺ: «وذكره عبد الحق ولم يعله بغير الإرسال، وأنت تعلم أنه ليس بعلة عندنا فيجب العمل بموجبه، فحينئذ يجب اعتباره في غير محل الإجماع، ولما كان الإجماع على أنه يقطع في الحنطة والسكر لزم أن يحمل على ما يتصارع إليه الفساد كالمهيأ للأكل منه، وما في معناه كاللحم والثمار الرطبة مطلقا في الجرين وغيره، هذا والقطع في الحنطة وغيرها إجماعا إنما هو في غير سنة القحط أما فيها فلا سواء مما كان يتسارع إليه الفساد أو لا، لأنه عن ضرورة ظاهرًا وهي تبيح التناول»[4].

= فهذا حديث ثابت عن عمر يقضي به بالمدينة بين المهاجرين والأنصار.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٤٧٩)، والسنة أي: عام مجاعة.

(٢) إعلام الموقعين، لابن القيم (٣/١١).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩١٥)، وبنحوه أبو داود في المراسيل (٢٤٥)، والحديث مرسل.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري (٦/٢٣٥٧).

۞ ثالثًا: لا حد على جاهل:

لا يُقام الحد على الجاهل به، فعن يحيى بن حاطب قال: توفي حاطب فأعتق من صلى من رقيقه وصام، وكان له أمة نوبية قد حبلت وصامت وهي أعجمية لم تفقه فلم يرعه إلا بحبلها وكانت ثيبا فذهب إلى عمر فحدثه فقال عمر: لأنت الرجل لا تأتي بخير فأفزعه ذلك، فأرسل إليها عمر فقال: أحبلت؟ فقالت: نعم من مرعوس بدرهمين فإذا هي تستهل بذلك لا تكتمه[1]، قال: وصادف علي، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف فقال: أشيروا علي، قال: فكان عثمان جالسًا فاضطجع فقال علي وعبد الرحمن بن عوف قد وقع عليها الحد فقال: أشر علي يا عثمان فقال: قد أشار عليك أخواك، فقال: أشر علي أنت فقال: أراها تستهل به كأنها لا تعلمه، وليس الحد إلا على من علمه، فقال: صدقت والذي نفسي بيده **ما الحد إلا على من علمه**، فجلدها عمر مائة وغربها عامًا[2].

قال الإمام البيهقي رحمه الله: «كان حدها الرجم، فكأنه رضي الله عنه درأ عنها حدها للشبهة بالجهالة، وجلدها وغربها تعزيرًا، والله أعلم»[3].

وعن ابن المسيب قال: ذكروا الزنى بالشام، فقال رجل: زنيت. قيل: ما تقول؟ قال: أو حرمه الله؟ قال: ما علمت أن الله حرمه. فكتب إلى عمر بن الخطاب، فكتب: «إن كان عَلِمَ أن الله حرمه فحدوه، وإن كان لم يعلم

(١) يعني أنها اعترفت بسهولة وكأنها فعلت أمرًا غير محرم.

(٢) رواه الشافعي، كما في مسنده بترتيب السندي (٢/٧٧)، وعبدالرزاق في المصنف (١٣٦٤٤).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٨/٤١٥).

فعلّموه، وإن عاد فحدوه»[1].

۞ رابعًا: الأمر بالستر وعدم تسليم نفسه للحاكم:

إذا فعل المعصية الموجبة للحد سرًّا فإنه يؤمر بالتوبة وعدم فضح نفسه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها؛ فمن أَلَمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله عز وجل»[2]، والقاذورات هي المعاصي.

وفي قصَّة ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه، عندما جاء إلى رسول ﷺ واعترف على نفسه بالزِّنى، وسأله أن يقيم عليه الحدَّ ليطهِّره، فأمر النَّبي ﷺ برجمه[3] فإنَّ النَّبي ﷺ لم يسأله مع من زنيت، وكذلك المرأة الغامديَّة عندما أقرَّت على نفسها، لم يسألها النَّبي ﷺ عن ذلك.

وفي إحدى روايات حديث ماعز، أنَّه جاء إلى أبي بكر الصِّديق، فقال له: إنَّ الآخر زنى ـ يريد نفسه ـ فقال له أبو بكر: هل ذكرت هذا لأحد غيري؟ فقال: لا. فقال له أبو بكر: فتُب إلى الله، واسْتَتِر بسِتر الله؛ فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده، فلم تُقْرِره نفسه، حتَّى أتى عمر بن الخطَّاب، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر، فلم تُقْرِره نفسه

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٣٦٤٣)، وقال الإمام ابن كثير في مسند الفاروق (٢/٥٠٦): «هذا إسناد صحيح».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/٤٢٥)، والبيهقي (٨/٣٣٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩).

(٣) حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، رواه البخاري (٤٩٨٨)، ومسلم (١٣٢٨).

حتَّى جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: إنَّ الآخر زنى. فقال سعيد: فأعرض عنه رسول ﷺ ثلاث مرَّات، كلُّ ذلك يُعرض عنه رسول الله ﷺ، حتَّى إذا أكثر عليه، بعث رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: أيشتكي، أم به جِنَّة؟ فقالوا: يا رسول الله، والله إنَّه لصحيح، فقال رسول الله ﷺ: أبِكْر أم ثيِّب؟ فقالوا: بل ثيِّب، يا رسول الله، فأمر به رسول الله ﷺ، فرُجِم[1].

وفي رواية: أنَّ رجلًا اسمه هَزَّال، هو الذي أشار على ماعز أن يأتي النَّبي ﷺ فيخبره، فقال له النَّبي ﷺ: «**يا هَزَّال، لو سَتَرْته بردائك، لكان خيرًا لك**»[2].

يعني: لو أمرته بالستر على نفسه حين أخبرك بما صنع لكان خيرًا لك من أن تأمره أن يأتي إلى من يقيم عليه الحد إذا أقر عنده[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التعليق على قصة ماعز رضي الله عنه: «ويؤخذ من قضيته: أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى، ويستر نفسه، ولا يذكر ذلك لأحد، كما أشار به أبو بكر وعمر على ماعز.

وأن مَن اطلع على ذلك: يستر عليه بما ذكرنا، ولا يفضحه، ولا يرفعه إلى الإمام، كما قال ﷺ في هذه القصة: «**لو سترته بثوبك لكان خيراً لك**»،

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٣٧٥) واللَّفظ له، والبيهقي (٨/٢٢٨) من حديث سعيد بن المسيب.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢٣٧٦)، والنَّسائي في السُّنن الكبرى (٧٤٣٧) من حديث سعيد بن المسيب، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/١٢٥): وهذا الحديث لا خلاف في إسناده في الموطأ على الإرسال كما ترى وهو يستند من طرق صحاح.

(٣) تفسير الموطأ، للقنازعي (٢/٧٠٨).

وبهذا جزم الشافعي ﵁، فقال: أُحبُّ لمَن أصاب ذنباً فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب، واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر.

وفيه: أنه يستحب لمن وقع في معصية وندم: أن يبادر إلى التوبة منها، ولا يخبر بها أحداً، ويستتر بستر الله، وإن اتفق أنه أخبر أحداً: فيستحب أن يأمره بالتوبة، وستر ذلك عن الناس، كما جرى لماعز مع أبي بكر ثم عمر»[1].

وقال أبو بكر الصديق ﵁: لو أخذت شاربًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت سارقًا لأحببت أن يستره الله[2].

وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس، وعمَّارًا، والزُّبير ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ أخذوا سارقًا، فخلوا سبيله، فقلت لابن عبَّاس: بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله، قال: لا أمَّ لك، أما لو كنت أنت، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك[3]، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة لولا طولها لأوردتها كاملة.

۞ خامسًا: صعوبة إثبات المعصية الموجبة للحد:

إثبات المعصية الموجبة للحد ليس سهلًا، فإن المتأمل في الأحاديث والآثار الواردة في الحدود يتيقن أن الشريعة لا تتشوّف إلى إقامة الحد بقدر

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٢/١٢٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٤/٣٦٣)، وصحَّح إسناده ابن حجر في الإصابة (٤/١٢٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢٨٠٨٤)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٢/٩٠).

تشوفها إلى إغلاق أبواب المعاصي، وشواهد ذلك كثيرة، منها:

١ ـ **الإعراض** عن المعترف بالمعصية الموجبة للحد، كما سبق في حديث ماعز رضي الله عنه.

٢ ـ **الرد الصريح**، الزائد عن مجرّد الإعراض، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، أن امرأة ـ يعني من غامد ـ أتت النبي ﷺ، فقالت: إني قد فجرت، فقال: «ارجعي»، فرجعت، فلما كان الغد، أتته، فقالت: لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إني لحبلى، فقال لها: «ارجعي»، فرجعت، فلما كان الغد، أتته، فقال لها: «ارجعي حتى تلدي»، فرجعت، فلما ولدت، أتته بالصبي، فقالت: هذا قد ولدته، فقال لها: «ارجعي فأرضعيه حتى تفطميه»، فجاءت به وقد فطمته، وفي يده شيء يأكله، فأمر بالصبي، فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فحفر لها، وأمر بها فرجمت، وكان خالد فيمن يرجمها، فرجمها بحجر، فوقعت قطرة من دمها على وجنته، فسبها، فقال له النبي ﷺ: «مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» وأمر بها فصلي عليها، ودفنت[1].

ومن ذلك طرد المعترفين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «اطردوا المعترفين» قال سفيان: يعني المعترفين بالحدود[2].

٣ ـ **تلقين الإنكار**، فعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه أتي بامرأة سرقت يقال لها: سلامة، فقال لها: «يا سلامة، أسرقت؟ قولي: لا»، قالت:

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٤٢).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٤٨٠).

لا ، فدرأ عنها[١] ، وروي مثله عن أبي مسعود الأنصاري ﵁[٢] ، وقال عطاء: كان من مضى يؤتى أحدهم بالسارق ، فيقول: أسرقت؟ قل: لا ، أسرقت؟ قل: لا ، علمي أنه سمى أبا بكر ، وعمر . وأخبرني أن عليا أتي بسارقين معهما سرقتهما ، فخرج فضرب الناس بالدرة ، حتى تفرقوا عنهما ، ولم يدع بهما ولم يسأل عنهما[٣] .

٤ ـ عدم الإجبار على الاعتراف ، ورفض أي اعتراف تحت الإجبار ،

وقد بوّب الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه: في الامتحان في الحدود ، ثم روى عن أبي مجلز قال: المحنة في الظنة[٤] أن توعده ، وتجلب عليه ، وإن ضربته سوطًا واحدًا ، فليس اعترافه بشيء[٥] .

وعن عمر بن عبد العزيز ﵀ يقول: من أقر بعد ما ضرب سوطًا واحدًا ، فهو كذاب[٦] .

وعن الزهري ﵀ قال: إذا اعترف بعد عقوبة ، فلا يؤخذ به في حد ولا غيره[٧] .

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩٢٢)، وابن الجعد في مسنده (١١٠٢)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٣٠).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/٢٢٤)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/٤٨٠).
(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/٢٢٤).
(٤) المحنة في الظنة: أي طريقة التحقيق مع المتهمين المشكوك فيهم.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٤/٤١٢).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٤/٤١٢).
(٧) مصنف عبد الرزاق (٧/٣٦٣).



۞ سادسًا: درء الحدود بالشبهات:

كل ما سبق من إجراءات وخطوات يقلل بلا شك من عدد مستحقي الحد، ولا يُكتفى بذلك بل إن الحدود تُدرأ ـ أي تُدفع ـ بالشبهات، وهذا يؤكد أن الشريعة لا تتشوف إلى إقامة الحد بل إلى الحد من المعاصي.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة**»[(١)].

فالحاكم إذا وقف على شبهة محتملة تفيد عدم ثبوت الحد أو تؤثر في حال من ثبت عليه الذنب، فإنه يعمل بها ولا يحد المتهم، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة.

۞ سابعًا: السماح للمقر بذنبه بالتراجع عن إقراره:

وهذا من مظاهر سماحة الدين، وعدم التشوف إلى إقامة الحد، ففي حديث ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آنف الذكر لما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد، فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير[(٢)] فرماه به فقتله، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «هلا تركتموه لعله أن يتوب،

---

(١) رواه الترمذي (١٤٢٤)، والدارقطني (٣٠٩٧)، والحاكم في المستدرك (٨١٦٣)، وفيه ضعف، ولكن له شواهد، لذلك قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في نيل الأوطار (٧/١٢٥): «وما في الباب وإن كان فيه المقال المعروف فقد شد من عضده ما ذكرناه فيصلح بعد ذلك للاحتجاج به على مشروعية درء الحدود بالشبهات المحتملة لا مطلق الشبهة».

(٢) هو عظم ساق البعير.

فيتوب الله عليه»[1].

وقد بوب الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه: في الرجل والمرأة يقران بالحد ثم ينكرانه، ثم روى بإسناده إلى عبد الله بن شداد أن امرأة رفعت إلى عمر أقرت بالزنى أربع مرات، فقال: إن رجعت لم نقم عليك الحد[2]، ثم أورد عدة آثار في هذا الباب.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «المقر إذا استقال في أثناء الحد، وفَرَّ، تُرِك ولم يتمم عليه الحد، فقيل: لأنه رجوع، وقيل: لأنه توبة قبل تكميل الحد، فلا يقام عليه كما لو تاب قبل الشروع فيه، وهذا اختيار شيخنا»[3].

ثامنًا: تقدير نفسية المحدود بعد الحد.

المقصود من إقامة الحدود صيانة المجتمع من الرذائل وردع من تسول له نفسه فعل المنكرات، وإصلاح وتربية المحدود، وليس القصد منها قتل شخصيته أو إهانته أو التقليل من شأنه، لذلك يحصل الشخص المحدود على نوع من التقدير والسلوى بعد الحد، وتتمثل في:

١ ـ اعتبار الحد كفارة له، وفي ذلك طمأنينة له وراحة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس، فقال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ـ وقرأ هذه الآية كلها ـ فمن

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٤١٩)، وأحمد في المسند (٢١٩/٣٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٨/١٤).
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٣٠/٥).

وفى منكم فأجره على الله ، ومن **أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته ،** ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه»[1] .

٢ ـ الاستغفار له ، ففي حديث ماعز رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**استغفروا لماعز بن مالك**» ، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك ، قال ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم**»[2] .

٣ ـ النهي عن الدعاء عليه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب ، قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، فلما انصرف ، قال بعض القوم: أخزاك الله ، قال: «**لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان**»[3] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حمارًا ، وكان يُضْحِك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتي به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله**»[4] .

٤ ـ النهي عن شتمه وتعييره ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا زنت أمة أحدكم ، فتبين زناها ، فليجلدها الحد ، **ولا يثرب**

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (٦٧٨٤) ومسلم (١٧٠٩).
(٢) رواه مسلم (١٦٩٥).
(٣) رواه البخاري (٦٧٧٧).
(٤) رواه البخاري (٦٧٨٠). أي: ما علمت عنه إلّا أنه يحبُّ الله ورسوله.

عليها، ثم إن زنت، فليجلدها الحد، **ولا يثرب عليها**، ثم إن زنت الثالثة، فتبين زناها، فليبعها، ولو بحبل من شعر»[(١)].

٥ ـ الصلاة عليه بعد موته، ففي حديث ماعز رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى عليه[(٢)]، ولما رجم النبي امرأة أمرهم فصلوا عليها، فقال عمر: يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت؟ قال: «والذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها؟»[(٣)].

بعد بيان هذه الخطوات تبين لنا بطلان المقدمة الصغرى، وهي أن الحدود الشرعية شديدة، بل تبين أن الرحمة تسبقها وتلحقها، والذي يصف الحدود الشرعية بعد ذلك بالشدة والبشاعة ويتجاهل كل هذه الرحمة التي تحيط بفعل المعصية وتمنع الإنسان منها، فإنه إما ساذج أو سيء النية يريد الطعن بهذا الدين، ولكن الله غالب على أمره.

وبهذا سقطت الشبهة والحمد لله.



(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢١٥٢) ومسلم (١٧٠٣).

(٢) رواه البخاري (٦٨٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٤٤٠) وأحمد (١٩٩٠٣) وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي المهلب ـ وهو الجرمي ـ فمن رجال مسلم.

الخَاتِمَة

في ختام هذا الكتاب الذي أسأل الله أن يبارك فيه وفي كاتبه وقارئه أود أن أوصي نفسي وإخواني إذا أردنا أن نكون فاعلين في نصرة الدين والذب عن شريعة رب العالمين بالوصايا التالية:

۞ **الوصية الأولى: كن واعيًا،** فالوعي هو السلاح الماضي في الحاضر والماضي، واستعملت هنا مصطلح الوعي، ولم أقل: المعرفة أو العلم؛ وذلك لأن الوعي أوسع دلالة وأرحب معنى، فالوعي ليس فقط أن تعرف الحق، بل الوعي أن تعرف الباطل كذلك، وأن تعرف كيف تواجهه، وأن تعرف التاريخ وتعرف كيف تستفيد منه، وأن تعرف الحياة وتعرف كيف تعيشها، فالوعي أكبر من مجرّد معلومات مكدّسة.

ومن الوعي أن تملك العقل الناقد الفاحص الذي لا يمكن استغفاله، ولا الاستخفاف به، وأرجو أن يكون هذا الكتاب مساهمة نافعة في هذا الباب.

۞ **الوصية الثانية: كن معتزًّا بدينك،** مفتخرًا بأنك عبد لله تعالى تابع ومصدق برسوله ﷺ، لا تخجل أنك مسلم، ولا تخجل أنك مؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

ومن صور هذا الاعتزاز ألا يكون المسلم دائمًا في حالة دفاع عن نفسه، متلقٍ للضربات، رادٍ عن الشبهات فقط، بل عليه أن يكون مهاجمًا

للباطل منقضًا عليه.

ومهما كان الإنسان قويًّا، فإنه إذا ارتضى لنفسه أن يكون في قفص الاتهام، وفي حالة دفاع مستمر، فإنه يُرى ضعيفًا لا محالة، ويتجرأ عليه المتجرئون.

ولا أقول: الدفاع عن الدين خطأ، أبدًا، لكن الاكتفاء بموقف الدفاع هو الخطأ.

۞ **الوصية الثالثة: إذا كنت ذا همّة في السؤال فكن ذا همّة في التعلم،** أما إذا كنت دائمًا سؤولًا، وكنت عن طلب العلم كسولًا فإن سؤالاتك ستكون وبالًا عليك، وستفتح أبواب الشبهات لتنهال بين يديك!

في يوم من الأيام قال لي شاب: أَثْبِتْ لي وجود الله! فلما شرعتُ في الجواب وتفصيلاته، معتمدًا في شرحي على لوحة بيضاء أكتب عليها، فلما مضى على الشرح ربع ساعة تقريبًا وضع يده على رأسه، وقال كلامًا معناه: تعبت ومللت من الجواب!

فقلت له: كيف تسأل سؤالًا ضخمًا مثل هذا، ولا تريد استماع الجواب؟!

نحن لا نمنعك من السؤال، بل اسأل ما شئت، لكن كن ذا همّة في التعلم.

۞ **الوصية الرابعة: قوة المنطق خير من منطق القوة،** فعليك بأدب

الحوار وحُسن المحاجحة والنقاش، ودع عنك التشغيب ورفع الصوت، فإن صاحب الحجة الدامغة لا يحتاج إلى أكثر من إبدائها بوضوح والتزام بآداب الحوار.

وقد نظمتُ منظومة في آداب الحوار سميتها: **تحفة الأخيار في آداب الحوار**، لعلي أختم بها هذا الكتاب، سائلًا المولى جلّت قدرته أن يرزقنا الإخلاص والعلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب.

تحفة الأخيار في آداب الحوار

نظم الدكتور مطلق الجاسر



أَحْمدُ مَن قَد خَلقَ الإنسانَ ـ سبحانَه ـ علّمه البيانَ

ثم الصلاةُ والسلامُ أبدا على النبي الهاشمي أحمدا

قدوتِنا في اللفْظِ والبيانِ والنصحِ والدعوةِ والتبيانِ

واعلم بأن النَّاسَ للحوارِ أَحْوجُ مِن ذاك الزُّلالِ الجاري

لأنه يقرّبُ الأفكارَ مِن بعضِها وينشرُ الأنوارَ

يحتاجُه الفَقِيهُ والمُناظِرُ كذلك الدُّعاةُ والمُشاوِرُ

ولن تدومَ في الملا عَلاقة زواجٌ او زمالةٌ صداقة

ما لم تُمَدَّ للحوارِ قنطرة تجمعُ بالحُبِّ قلوبًا نافرة

فكن أديبًا لبِقًا مُناقِشًا حتى تكونَ في القُلوبِ ناقشًا

واعلمْ بأن العَينَ في المُخَاطَبة خيرٌ من الإرْسالِ والمُكاتَبة

وهاك في الحِوارِ ذي المنظومة كالدُّرِّ واللآلئ المنظومة

اسمع له

فقبل أن تُنْكرَ أو تعترضَ اسمع له ولاتُباعِدْ مُعرضًا

ولا تـكـن بـغـيـره مُشـــــتـغِـلا بـل كن عليـه يـا أُخيّ مُقبلا

حَـافِظْ على الـهُـدوءِ والرزانـة فـالـرِّفـقُ إن كـان بـأمـرٍ زانـه

ولا تُقـاطعْ قولَـه المســـترســـلا حـتـى يَـتِـمَّ قـولُـه ويَـكـمُـلا

وكن صـــبـورًا فَطِنًـا حليمًـا مـحـتـمـلًا زلّـتـه حـكـيـمًـا

ثم تكلّم

ثم تكلم مُخْلصًــــا بِصــــدْقِ بـغـيـتُـنـا وصــــولـنـا لـلـحـقّ

ولا تَحِـدْ عن لُـبِّ الاجتمـاعِ مُضــــيّعًـا لـموضِـــع الـنِّـزاعِ

واختر جَميـلَ اللفْظِ والكَلامِ واحْـذر مِـن الـطِّـعـانِ والـكِـلامِ

فلا تُســـمّعـه كلامًـا جارحًـا بـل هـذّب الألـفـاظَ والـجوارحَ

فـإن يـكـن بـيـتـك من زُجـاجِ فلا تســـبَّ النَّاسَ في الحِجـاجِ

ولا تـكـن مُـكـابـرًا جـبـانًـا إذا رأيـتَ الـحـقَّ مـنـه بـانـا

بـل اعترف ثم اعتـذر من الزلـل فلســتَ معصــومًا أخي من الخلل

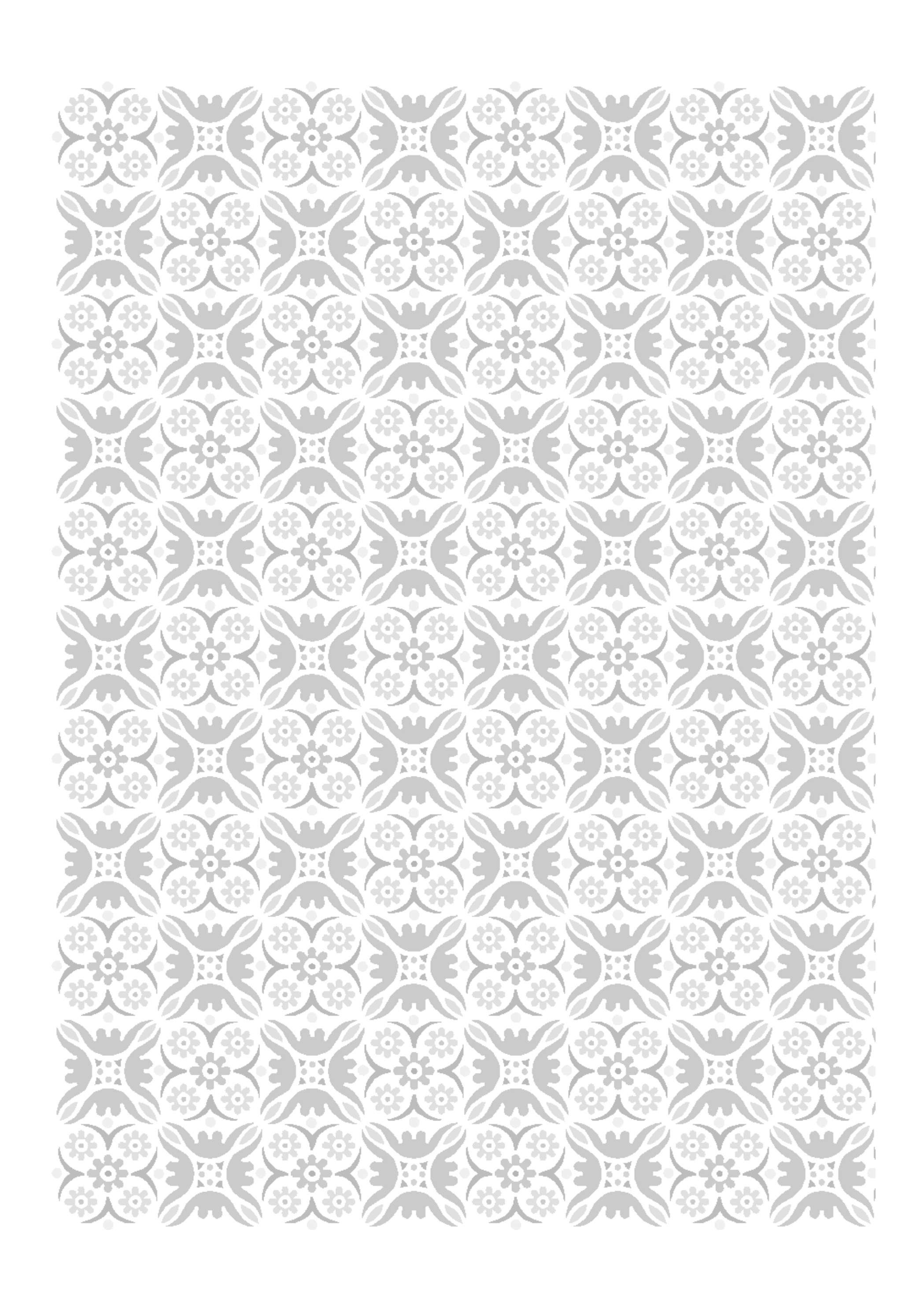
وإنْ ظَهَرْتَ في الحِوار يـا مُحبْ فـالبس رداءً من تواضـــعٍ تُحَـبْ

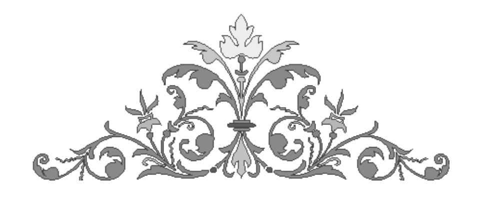
وإن تـرَ الـجِـدالَ ذا عـقـيـمًـا فقُلْ سَـــلامًا وانْصـــرفْ سَـــليمًا

وتَـمَّ نـظـمُ تُـحـفـة الأخـيـار نـظـمـتُ فـيـه أدبَ الـحـوارِ

مـنـتـقـيًـا مـن الـكـلامِ أجَـمـلَـه مُقتصِـــرًا على الأُصـــولِ المُجْمَلة

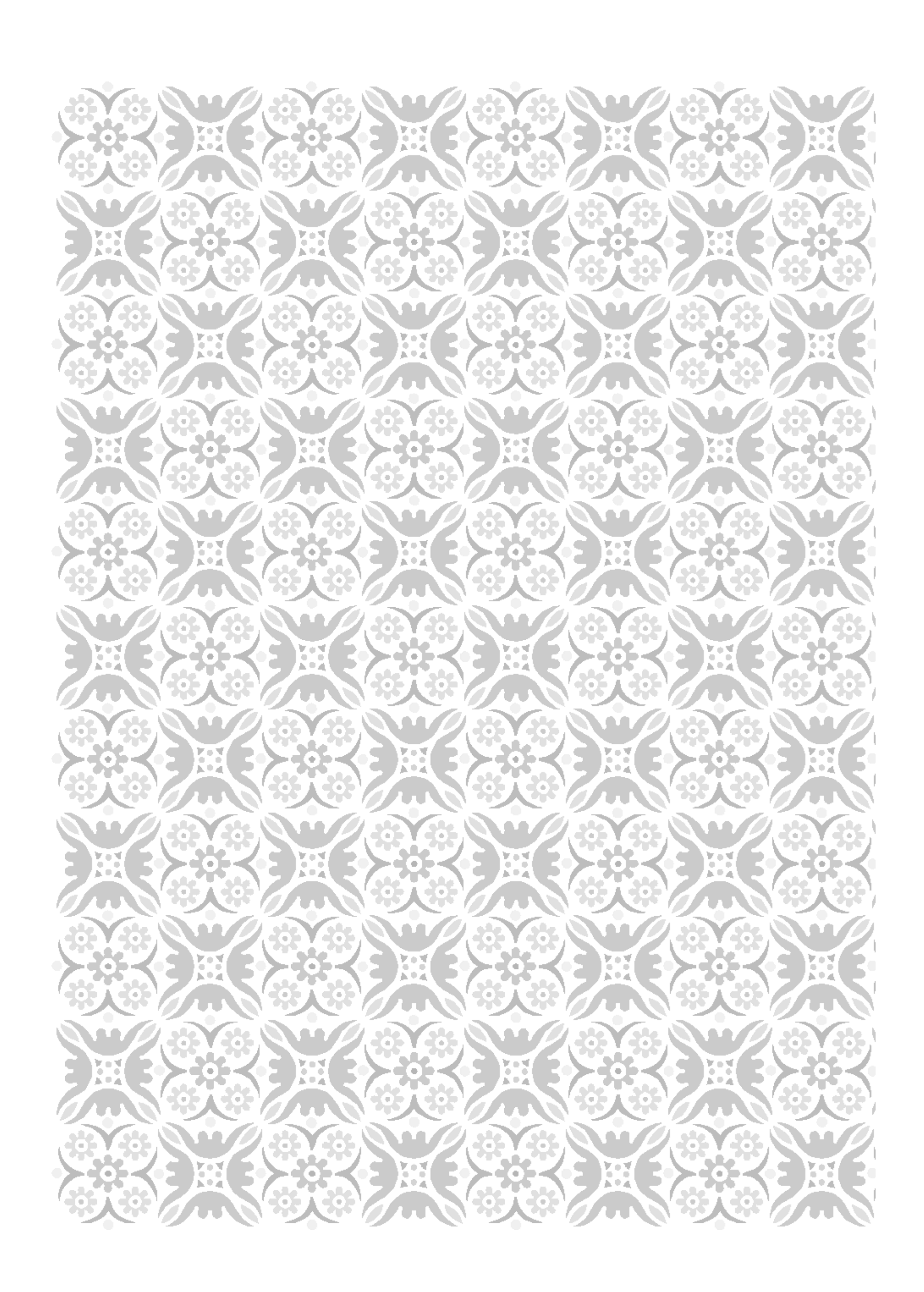
وخـيـرُ مـا يَـكْـتُـبُـه الـخِـتـامُ على النبي الصَّـــلاةُ والســـلامُ





الفهارس







قائمة المراجع

١ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

٢ ـ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق ونشر دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٣٤هـ

٣ ـ أزمة الحداثة ورهانات الخطاب الإسلامي، للدكتور عبدالرزاق بلعقروز، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٤ ـ أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

٥ ـ الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، للدكتور إبراهيم الحقيل، نشر مؤسسة البيان ـ الرياض.

٦ ـ الإسلام الديموقراطي المدني، لشيريل بينارد، ترجمة: إبراهيم عوض، مركز نماء للدراسات.

٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث، ط١، ٢٠٠٨م

٨ ـ أصول الفقه، لشمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، تحقيق: د. فهد السدحان، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٩م.

٩ ـ الاعتصام للشاطبي، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠٠٨م

١٠ ـ أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١١ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ١٩٧٣م

١٢ ـ أقضية رسول الله ﷺ، للإمام محمد بن فرج بن الطلاع المالكي (ت: ٤٩٧هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٣ ـ الإلحاد للمبتدئين، للدكتور هشام عزمي، دار الكاتب للنشر، ط٢، ٢٠١٥م

١٤ ـ أوروبا والإسلام، عبدالحليم محمود، بدون ناشر ولا رقم طبعة، سنة النشر ١٩٧٣م

١٥ ـ أولية العقل: نقد أطروحات الإسلام السياسي، عادل ضاهر، دار أمواج، بيروت، ٢٠٠١م

١٦ ـ الإيمان الكبير، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الشبراوي أبي المعاطي المصري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ

١٧ ـ الإيمان بالخالق والعلم، لجوردون ليدنر، ترجمة وإصدار: مركز دلائل، ط١، ١٤٣٨ هـ

١٨ ـ البداية والنهاية، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

١٩ ـ بيان إعجاز القرآن، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: د. يوسف بن عبد الله العليوي، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

٢٠ ـ بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، لأندرو ديكسون وايت، ترجمة إسماعيل مظهر

٢١ ـ تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى، لوليام مونتغمري واط، ترجمة: سارة إبراهيم الذيب، ط١، جسور للترجمة والنشر، ٢٠١٦م

٢٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية.

٢٣ ـ تاريخ الحروب الصليبية، د. محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٩٩م

٢٤ ـ تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم، مؤسسة هنداوي ٢٠١٢م

٢٥ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، تعليق: د. مصطفى النشار، الدار العربية للكتاب

٢٦ ـ تاريخ القرن التاسع عشر، لمحمد قاسم وحسين حسني، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٢٢م

٢٧ ـ تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م

٢٨ ـ التبصير في معالم الدين، للإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. علي الشبل، دار العاصمة، ط١، ١٤٤٠هـ

٢٩ ـ التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، المعروف بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض، ط١، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م

٣٠ ـ تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحِرَف والصنائع والعمالات الشرعية، للشيخ علي بن محمد الخزاعي (ت: ٧٨٩هـ)، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط٣، ٢٠١٠م.

٣١ ـ التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية، للشيخ عبد الحي ابن عبد الكبير الكتاني (ت: ١٨٨٢هـ)، تحقيق: محيي الدين نجيب، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٣٢ ـ التغير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، للدكتور محمد بن علي الشتيوي، مكتبة حسن العصرية، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٤ ـ تفسير الموطأ، للشيخ عبد الرحمن بن مروان القَنَازِعي (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار النوادر، ط١، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

٣٥ ـ التفكير العلمي، الدكتور فؤاد زكريا، ذات السلاسل، الكويت، ط٣، ١٩٨٨م.

٣٦ ـ تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)،

تحقيق: د. أحمد المزيد، دار الوطن، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٧ ـ تلخيص السفسطة، لأبي الوليد ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ)، تحقيق: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م

٣٨ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٣٨٧هـ.

٣٩ ـ ثورة العقل في الفلسفة العربية، للدكتور عاطف العراقي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٩٩م

٤٠ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير ابن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م.

٤١ ـ الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٢ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٤٣ ـ الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، ط١، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٤٤ ـ الجندي المستعرب: سنوات مكسيم رودنسون في لبنان وسوريا (١٩٤٠

ـ ١٩٤٧)، لفيصل جلول، دار الجديد، ط١، ١٩٩٨م.

٤٥ ـ جون لوك: مقدمة قصيرة جدًّا، تأليف: جون دَن، ترجمة: فايقة جرجس حنا. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥م.

٤٦ ـ حادي العقول، للدكتور عمرو شريف، نور للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م

٤٧ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، تصوير وإعادة نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٨ ـ كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٩ ـ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٥٠ ـ دفاعًا عن السوفسطائيين، الدكتور الطيب بوعزة، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٧م.

٥١ ـ الدليل العقلي عند السلف، لعبدالرحمن الشهري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ٢، ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م.

٥٢ ـ الدولة المستحيلة، د. وائل حلاق، ترجمة: عمرو عثمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط٤، ٢٠١٦م.

٥٣ ـ الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، ط٣، مؤسسة الريان، ٢٠١٧م.

٥٤ ـ الرد على باتريشيا كرون وكتابها تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة وتعليق: آمال محمد الروبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٧م.

٥٥ ـ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

٥٦ ـ الرسالة، للإمام محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

٥٧ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٨ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢٥، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥٩ ـ السفسطائية وأثرها في مدارس الشك، للدكتور عبدالرحمن عواجي، مركز دلائل، ط١، ١٤٣٩هـ.

٦٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٦١ ـ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

٦٢ ـ السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، الناشر: دار التأصيل ـ القاهرة، ط١، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م

٦٣ ـ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي

(ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

٦٤ ـ السيرة الذاتية، لجون ستيورات ميل، ترجمة: الحارث النبهان، دار التنوير، ط١، ٢٠١٥م.

٦٥ ـ سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبن ترجمة: هاشم صالح، ط. دار الساقي.

٦٦ ـ شرح الأصبهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد بن عودة السعوي، دار المنهاج، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠١٠م.

٦٧ ـ شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

٦٨ ـ شرح مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

٦٩ ـ شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٧٠ ـ شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، ط٨.

٧١ ـ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٣٣٤هـ.

٧٢ ـ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد

الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧٣ ـ صورة الإسلام في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، د. عائشة ماجد وزوز، مركز الفكر الغربي للنشر، ط١، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م.

٧٤ ـ الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، لماكسيم رودنسون، ضمن كتاب تراث الإسلام، تحرير: شاخت وبوورث، ترجمة: د. محمد زهير السمهوري وآخرون، عالم المعرفة، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.

٧٥ ـ الطبقات الكبير، للإمام محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت: ٢٣٠ ه)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٧٦ ـ طرح التثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) وأكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة ـ وصورتها دار إحياء التراث العربي.

٧٧ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

٧٨ ـ العلم المرح، لفريدريك نيتشه، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي، المغرب، دار افريقيا الشرق، ط١، ١٩٩٣م.

٧٩ ـ العلم في منظوره الجديد، روبرت أغروس، ترجمة: د. كمال الخلايلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير ١٩٨٩م.

٨٠ ـ غريب الحديث، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٨١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م.

٨٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٨٣ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨٤ ـ .... طبعة أخرى: تحقيق: د. محمد عوض الشهري، دار البلد، ط١، ١٤٤٠هـ.

٨٥ ـ فطرية الإيمان: كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله؟، للدكتور جاستون باريت، ترجمة وإصدار: مركز دلائل.

٨٦ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ

٨٧ ـ القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢ م.

٨٨ ـ قصة الفلسفة، لويل ديورانت، ترجمة: أكرم مؤمن، ط١، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠١٦م.

٨٩ ـ كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٩٠ ـ كتاب محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلام لجورج بوش: عرض ونقد تأليف: محمود بغدادي، دار بلال بن رباح، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٩١ ـ لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٩٢ ـ لماذا لستُ مسيحيًا؟، لبرتنارد راسل، ترجمة: عبدالكريم ناصيف، ط. دار التكوين للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.

٩٣ ـ لماذا لست ملحدًا؟، لعبدالجليل الكور، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، ٢٠١٦م.

٩٤ ـ لماذا نحن هنا؟، إسماعيل عرفة، مركز دلائل.

٩٥ ـ مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، للحارث بن أسد المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، ط١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٩٦ ـ المبتدأ والمبعث والمغازي، (سيرة ابن إسحاق) للإمام محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ) ـ تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث.

٩٧ ـ المثقفون المغالطون، باسكال بونيفاس ترجمة د. عبدالرحمن مزيان، ط. ابن النديم للنشر والتوزيع.

٩٨ ـ مجلة المنار، السنة التاسعة، الجزء السابع، عدد سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦م.

٩٩ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الناشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٠ ـ مختصر التحرير في أصول الفقه، للإمام محمد بن أحمد بن النجار الفتوحي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد سليمان مال الله، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط١، ١٤٢٩هـ .

١٠١ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) اختصار محمد بن الموصلي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: الدكتور الحسن بن عبدالرحمن العلوي، دار أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٠٢ ـ المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠٣ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠٤ ـ المدخل عن نظرية المعرفة، لابن عقيل الظاهري، دار ابن حزم، الرياض

١٠٥ ـ مذكرات هدى شعراوي، دار مدى، طبعة خاصة بالتعاون مع جريدة القبس الكويتية، ٢٠٠٣م.

١٠٦ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للشيخ علي الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٠٧ ـ مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، لعبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، تحقيق: محمود محمد محمود حسين نصار، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠٨ ـ المستشرقون والتراث، تأليف د. عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٠٩ ـ المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٠ ـ المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م.

١١١ ـ المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي في الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١١٢ ـ معالم السنن، شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢م.

١١٣ ـ المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٤٠٣هـ.

١١٤ ـ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١١٥ ـ المعرفة في الإسلام: مصادرها ومجالاتها، للدكتور عبدالله القرني، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٦ ـ المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبدالله محمد بن علي المازري (ت: ٥٣٦هـ)، تحقيق: متولي خليل، وموسى السيد شريف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٤٢٢ هـ.

١١٧ ـ المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري، للدكتور عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣ م.

١١٨ ـ المغني، للإمام موفق الدين عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٩ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن حسن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١.

١٢٠ ـ مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، للدكتور علي سامي النشار (ت: ١٩٨٠م)، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، : ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢١ ـ مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية، للدكتور جعفر شيخ إدريس، مركز البيان للنشر والتوزيع.

١٢٢ ـ مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ: عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، تأليف: د. رياض بن حمد العمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٥م.

١٢٣ ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان ابن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٢٤ ـ المنهج عند المستشرقين، للدكتور عبدالعظيم الديب، بدون دار نشر، وبدون طبعة، سنة النشر ١٩٨٩م.

١٢٥ ـ موسوعة أندريه لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط٢، ٢٠٠١م.

١٢٦ ـ موسوعة علماء الفيزياء، موريس شربل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

١٢٧ ـ موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، تأليف: فريد جبر وسميح دغيم ورفيق العجم وجيرار جهامي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.

١٢٨ ـ الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: نور الدين شكري بوياجيلار، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٧م.

١٢٩ ـ الْمُوَطَّأ، للإمام مالك بْنِ أَنَسٍ الأصبحي (ت: ١٧٩هـ) (رواية يَحيى بن يَحيى اللَّيثيِّ، ت: ٢٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٣٠ ـ الميديا والإلحاد، للمهندس أحمد حسن، مركز دلائل، ط٣، ١٤٣٧هـ.

١٣١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٣٢ ـ نيل الأوطار، للشيخ محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٣ ـ هجوم على العقل، آل جور ترجمة: د. نشوى ماهر كرم الله، مكتبة العبيكان.

١٣٤ ـ هذا هو الإنسان، لفريدريك نيتشه، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل.

١٣٥ ـ هروبي إلى الحرية، لعلي عزت بيجوفيتش، ترجمة: إسماعيل أبو البندورة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.

١٣٦ ـ هندسة الجمهور، لأحمد فهمي، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٦هـ.

فهرس حوارات المؤلف مع المتأثرين بالشبهات

فهرس الشبهات والرد عليها

فهرس الخرائط الجدلية



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





أشكرك على قراءة كتاب ترياق،

ويسعدني أن تساهم بتطوير الكتاب من خلال تعبئة الاستبيان التالي:



وجّه الجهاز على الباركود ليظهر لك الاستبيان



مركز بيّنات

مركز بينات هو مركز علمي تطوعي أُعلن عن تأسيسه في الكويت في شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٨ هـ الموافق الشهر السادس من عام ٢٠١٧م

وهو مركز شرعي تطوعي مُستقل مُتخصص بتعزيز اليقين بأصول الإسلام ونقض شبهات خصومه.

وقد قام المركز منذ تأسيسه بإقامة عدد من الملتقيات والدورات والبرامج العلمية، وعقد حوارات مع عشرات الشباب المتأثرين بالشبهات الفكرية، وقد أسفرت عن رجوع عدد منهم إلى دائرة الإسلام وشاطئ اليقين بحمد الله تعالى وتوفيقه.

* رؤية المركز:

مركز يكون منارة علمية تُسهم في صناعة الثقافة وتكوين الشخصية الإسلامية الواعية المؤصلة علميًا والمحصنة فكريًا والقادرة على مواجهة الهجمات الفكرية الموجهة ضد الإسلام.

* رسالة المركز:

استنهاض الفطرة، وتعزيز اليقين بالله عزوجل، والاعتزاز بالهوية الإسلامية.

* الأهداف العامة للمركز:

١ ـ التأصيل الشرعي المتين المبني على الكتاب والسنة وتعزيز الثقة بهما.

٢ ـ تعزيز شعور الانتماء إلى الإسلام والاعتزاز العميق بالهوية الإسلامية.

٣ ـ ترتيب الأولويات المعرفية، وترسيخ المعايير الأصيلة لفهم الإسلام فهماً صحيحاً.

٤ ـ تكوين الحصانة الفكرية لدى المسلمين عمومًا، والشباب خصوصًا.

٥ ـ بث الوعي الكافي وإزالة التضليل الناتج عن هجمات التشكيك الموجهة ضد الإسلام.

٦ ـ توعية المربين على كيفية معالجة الخلل الفكري لدى المتربين.

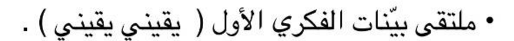
٧ ـ نشر ثقافة الحوار الهادئ، المبني على قوة المنطق لا منطق القوة.

أبرز إنجازات المركز

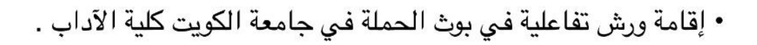


إنجازات مركز بيّنات :



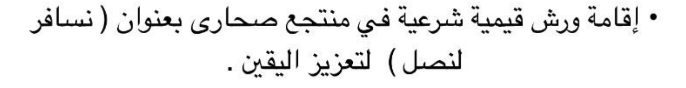


- ملتقى بيّنات الفكري الأول (يقيني يقيني) .



- إقامة ورش تفاعلية في بوث الحملة في جامعة الكويت كلية الآداب .





- إقامة ورش قيمية شرعية في منتجع صحارى بعنوان (نسافر لنصل) لتعزيز اليقين .
- مشروع حقيبة المعلم لتعزيز اليقين .



- مشروع القراءة الجماعية (في كل شهر كتاب) .



- المشاركة في معرض الكتاب الدولي (بوث بيّنات) .
- تقديم ورش عديدة في بوث بيّنات في معرض الكتاب .
- تفعيل مواقع التواصل الإجتماعي - تويتر ، انستقرام ، يوتيوب ، وتس آب (لتعزيز اليقين ورد الشبهات وبناء حصانة فكرية) .





- تصوير عدد من الدكاترة والمتخصصين في عدة مجالات لحسابات مواقع التواصل الإجتماعي (فيديوهات متنوعة).



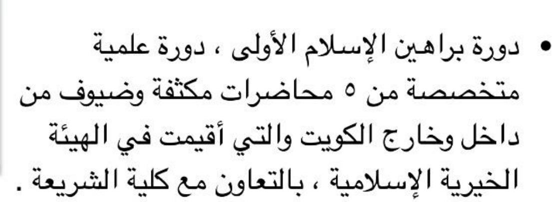
- تفعيل خط ساخن على مدار الساعة للإجابة عن الأسئلة الوجودية، والأسئلة التشككية، والشبهات المعاصرة.



- دورة (وهم الإلحاد) الأولى يقدمها د.هيثم طلعت في كلية الشريعة بالتعاون مع مكتب العميد المساعد للأبحاث والاستشارات والتدريب ، ومركز تعزيز الوسطية.

- دورة (وهم الإلحاد) الثانية يقدمها د. هيثم طلعت أيضًا في كلية الشريعة بمحاور مختلفة .





- دورة براهين الإسلام الأولى ، دورة علمية متخصصة من ٥ محاضرات مكثفة وضيوف من داخل وخارج الكويت والتي أقيمت في الهيئة الخيرية الإسلامية ، بالتعاون مع كلية الشريعة .



- المشاركة في كلية الشريعة جامعة الكويت (بوث بيّنات) للتعريف عن المركز والحوارات الهادفة بالإضافة لجوائز قيمة .



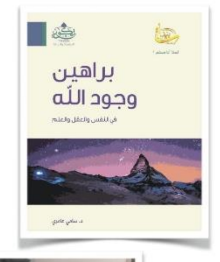
- مشروع الحقيبة القيمي العائلي التربوي ، تم تجهيز أكثر من ٢٠ حقيبة قيمية بألعابها وإرشادتها وتوصيلها لمن يرغب بها بمبلغ رمزي.



- مشاركة المركز في فعاليات ملتقى (وا شوقاه) التابع لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

- مشروع حملة (غالية) الوطنية لتعزيز مفهوم الحجاب في المجتمع الكويتي .





- أول إصدارات المركز (كتاب براهين وجود الله) د. سامي عامري، بالتعاون مع مركز تكوين .



- مشروع الدخول على القاعات في كلية الشريعة في موضوع (التسليم للنص الشرعي) .



- استضافة محاضرة (هجرة قلب) للداعية ياسمين رولاند ، بالتعاون مع مكتب العميد المساعد في كلية الشريعة والتي أقيمت في قاعة المذكور.





- المشاركة في مخيم مربيات في دورة نسافر لنصل .



- ملتقى يقيني يقيني الثاني تحت شعار (سمعنا وأطعنا) في كلية الآداب بجامعة الكويت وفي مجمع ذا قيت مول .



- معرض البانوراما التوعوي في كلية الآداب ، تحت شعار (سمعنا وأطعنا).



- إقامة ورشة في مسرح الهيئة الخيرية الإسلامية بعنوان الخصوصية والأمان في العالم الرقمي.



- إقامة برنامج متكامل لمدة ٣ أيام في مجمع ذا قيت مول تبعًا لحملة يقيني يقيني الثانية ، يحتوي على (ورش وندوات ومحاضرات وفعاليات وجوائز للمشاركين).



- دورة خير سفير للطبة والطالبات المبتعثين ، برنامج من محاضرات دينية وفقهية لتكون لهم عونًا قبل سفرهم في تعزيز مفهموم الثبات على الدين خارج البلد والتي أقيمت في منتجع صحارى .

تواصل معنا:

bayyenat_q8@



Bayynat



الخط الساخن

(٠٠٩٦٥) ٥٠٢١٤٠٥٣



bayyenat_q8@



قناة مركز بينات